«رواية»

أربعتاشر مجاورة اتناشر

اسم الكتاب :أربعتاشر مجاورة اتناشر
تأليف : د.محمود ابو العلا
تصميم الغلاف : مروة فتحي
رقم الإيداع : ٢٠١٨/٢٠٣١٩
الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٧٧-٨٥٤٢٩-٢-٩

ZERO ONE PICTURES
Production solutions that make sense

زيرو وان بيكتشيرز للتوزيع - شارع أحمد فخري - مدينة نصر - القاهرة
تليفون : 01090288777 -01285829109

«زيرو وان» للنشر و التوزيع

E.mail: Zeroonepictures@outlook.com

Zeronepictures.com

website: www.zeronepictures.com

© جميعُ الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو الكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابى من الناشر؛ يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعّبر بالضرورة عن رأي الدار.

رواية

اربعتاشر مجاورة اتناشر

تأليف

د. محمود ابو العلا

محمد السحار

زيرو وان

"المقدمة"

هل راودك شعور انك دوما محاصر . انك (معذرة في اللفظ) منحوس؟

هل جربت ان تفتح باب بواسطة سلسلة مفاتيحك فتجربها كلها قبل ان ينجح اخرها في فتح الباب ؟

هل تشعر ان كل المرضي النفسيين يستطيعون العثور عليك بسهولة وان كل مجانين ومعاتيه العالم يعرفون طريقك ويتقاطعون معه دوما وكأنك مغناطيس كبير لكل ترهات الدنيا؟

هل تشعر انك لا تحقق اي نجاح في حياتك الا بطلوع الروح بينما من حولك لا يبذل نصف جهدك ويحقق اضعاف اضعاف ما تحققه؟

هل تشعر بأنك وحيد في العالم وتجابه قوي اقوي منك. أنت بالنسبة لها كناموسة في مواجهة ديناصور؟

هل تتعجب حينما تبذل قصاري جهدك في محاولة خدمة من حولك بينما لا يفعل من حولك ربع ما تبذله ليخدموك؟

هل تملك القدرة علي اطلاق النكات في احلك لحظات حياتك . هل تصرفاتك في المواقف الملتهبة تدعوك حين تراجعها بعد هدوء الموقف لأن تنفجر ضاحكا علي نفسك؟

هل تمتلك قدرا كبيرا من المشاعر الايجابية توزعها علي من حولك وتختص نفسك بكل المشاعر السلبية بداخلك لتجعل كل خطواتك تتعثر؟

اذا كنت بعض هذا او كله فلا تقرأ هذة الرواية لأنها قد تشدك الي عالمها فلا تستطيع الخروج منه

اما اذا لم تكن ايا مما سبق انصحك ايضا الا تقرأ هذة الرواية لأنها حتما ستؤثر علي عقلك الباطن وستجعلك تنتبه الي احداث شبيهة بأحداث الرواية في حياتك وقد تنقلب حياتك رأسا علي عقب .....

****

مقهي بلدي عادي من مقاهي الاماكن الشعبية في القاهرة بكراسيه القش وطرابيزاته الجريد نصف ممتلئ بالرواد كعادة معظم المقاهي في هذا التوقيت النهاري يدخل محروس رجل في اواخر الاربعينات من العمر (يرتدى قميصا مقلما وبنطلونا من الجينز اشتهر في التسعينات (بماركته.. كونز وارد تركيا) وبطلت موضته منذ سنوات وكوتشي اسكواش (أسكوت صيني) يصدر صريرا كلما احتك بقيشاني المقهى) من الباب ليجلس في مكانه المعتاد مناديا علي حربي صبي المقهي

– هات لي ياحربي قهوتي وشيشة تفاح

اقترب منه مسلما عليه لأجلس بجواره بينما يقترب منا حربي بطلبات محروس يضعها وينصرف فأبادره قائلا

– ازيك يا عم محروس؟

ينظر له محروس نظرة (هو انت؟!) قبل ان يجيبني كمن يعض علي قطنة لحظة خروجه من عند طبيب اسنان

– اهلا يا معتز بيه اؤمرني

ارد عليه وأنا اغمز بعيني بطريقة من يخبره (ان البضاعة في امان)

– عايز شقة يا عم محروس بس ماتكونش زي بتاعت المرة اللي فاتت

– مالها يابيه بتاعت المرة اللي فاتت؟

– أنت عارف وأنا عارف يا عم محروس

يسحب محروس نفسا عميقا من الشيشة قبل ان ينفخ الدخان باتجاهي فيخفي الدخان محروس تماما عني اهش الدخان عن وجهي وأنا اسعل بشده لأكتشف عدم وجود محروس واختفائه تماما بعد انقشاع الدخان .... لا لا لا

ليس هذة هي البداية المناسبة للأحداث دعوني ارجع لبدايتها تماما لتدركوا تفاصيل القصة كاملة .

****

منزلي المطل علي ترعة صغيرة في احدي قري محافظة من محافظات مصر (والتي تحمل في اسمها رقم مائة وبعده اسم احد الاشخاص نسبة الي احد معسكرات الجيش الاسلامي الذي تمركز بطول مصر وعرضها اثناء فتح مصر واصبحت تلك المعسكرات انوية لقري مصرية كثيرة) والغارق في الظلام من الخارج بينما تشترك الضفادع وصراصير الليل وكلاب الشوارع في عزف سيمفونية مرعبة. نسمع علي البعد صوت موتور مياه يعمل وتصايح بعض الفلاحين علي بعضهم بينما تتراقص اغصان الشجر رقصة (سلو) علي موسيقي كونية حزينة. نبصر في البيت نافذة وحيدة مفتوحة يشع منها نورا باهتا نقترب منها في هدوء وندخل البيت لنري شاب (شديد الاناقة في بيجامته المخططة وشديد الوسامة بملامحه المنهكة جراء تمقيق عينيه في المذاكرة) يقترب من

العشرين يجلس علي مكتبه يذاكر في اهتمام

الم تعرفوه بعد؟ انه أنا في بداية الاحداث هل اختلفت ملامحي الي هذا الحد ؟ انه الفرق بين ان تكون لا تعرف وان تعرف انه اليقين ... ما علينا امنعوني من هذا الاستطراد الغبي والكلام الذي يحاول ان يبدو عميقا ودعوا الاحداث توصلنا للنهاية.

ينفتح باب الغرفة وتدخل جدتي سيدة في اواخر الخمسينات من العمر ترتدي جلابية سوداء وتغطي شعرها بأيشارب مزركش

– ازيك يا حبيبي عامل ايه في المذاكرة؟

– الحمد لله تمام يا تيتا ..... دعواتك

– ربنا يكرمك يا بني وينولك اللي في بالك ... أنا هادخل انام وهاطفي نور الشقة ها .... عايز مني حاجة

اجيبها في فزع مطلق

– لا لا ماتقفليش النور سيبي نور الصالة والع

انظر لنفسي الان نظرة (ماتجمد ياض وماتبقاش خرع كده) واهز رأسي في استهجان قبل ان اتابع جدتي تجيب

– مش ناوي يابني تجمد قلبك بقي؟

اجد مع جدتي كل الحق ولا اجد كلمات اشتم بها نفسي يبدو فعلا اني تغيرت كثيرا ولدهشتي اجدني اجيبها في خنوع

– مش وقت شجاعة اخر السنة يا تيتا بعد الامتحانات اوعدك اجمد قلبي

– وماتنساش تنزل تصلي الفجر علشان ربنا يكرمك

– هابقي اصليه هنا

– يا معتز يا حبيبي مستحيل يكون الجامع لازق في البيت وأنت عايز تصلي هنا ، أنت عمرك ما روحت الجامع اللي جنبنا حتى علشان تصلي صلاه الجمعة

– ما أنا بأصليها في جامع تاني

– طب ما تصلي كل الصلاوات في المسجد اللي جنبنا واهو تكسب ثواب الجماعة

اجيبها وقد ضقت بها ذرعا وزاد ضيقي اقتناعي التام بأنها علي صواب مطلق لا تشوبه اي نسبة من الشوائب

– حاضر حاضر

– كل مرة بتقول حاضر وبتعمل اللي في دماغك أنا زهقت من كتر الكلام معاك عموما اعمل اللي يريحك

تنصرف الجدة بينما تترك باب الصالة مواربا وانهمك في مذاكرتي متشاغلا بعد قليل نسمع صوت قرآن الفجر يتردد في الانحاء باعثا في قلبي شعورين مختلفين اولهما شعورا بالسكينة وكأن ايات الذكر الحكيم تربت علي قلبي والاخر شعورا بالاسترخاء اللذيذ والرغبة في النوم وكأنه يوجه رسالة لعقلي الباطن اني سهرت اكثر من اللازم

****

اتخذ قرارا اتمني ان تعينني نفسي عليه وهو ان انزل من البيت في مثل هذا التوقيت محاولا ان اقاوم رغبة بدأت تتكون بداخلي في النوم محاولا استكمال ماراثون المذاكرة المصري الشهير المسمي بالثانوية العامة. انزل درجات السلم محاولا ان اصنع اكبر قدر ممكن من الضوضاء المعقولة ولا بأس ان اتنخم وابصق علي السلم ايضا لأعلم جدتي خفيفة النوم اني سأنزل بناء علي رغبتها. اسير في شوارع القرية شبه الخالية متجها نحو جامع القرية الكبير قبل ان ينجح الشيطان في الوسوسة لي بخاطرة اجدها معقولة في حينها فمازال الوقت مبكرا علي الصلاة وامامي ساعة علي الاقل حتي يرفع الاذان لذا اقرر ان اعرج علي صالة التدريبات الرياضية (الجيم) التي اعلم يقينا اني سأجد بها عددا غير قليل من اصدقائي اتسلي معهم بقتل بعضا من الدقائق الباقية علي الاذان. لم اكن ابدا من هواة التعرق وتضخيم كتلتي العضلية مقتنعا دوما ان مكمن قوة الانسان بين كتفيه او لنقل اني حاولت ان امارس هذة الرياضة ولكن عقلي لم يستطع ان يقنعني لماذا استمر في تعذيب

جسدي وايلام اطرافي لمجرد ان اكتسب بعضا من العضلات اتباهي بها امام اصدقائي او علي مسارح بطولات تلك اللعبة لذا مارستها لثلاثة شهور فقط قبل ان اتوقف وتعللت امام اصدقاء اللعبة اللذين كونتهم بالمذاكرة والامتحانات لذا اتجه للصالة وأنا اعلم يقينا اني سأجد عددا من اصدقائي هناك دخلت من باب الصالة وسط سحابة من رائحة عرق مركزة ساهم فيها شهورا وشهورا من التمرينات المتواصلة لرواد الصالة وغابة من المرايا تمكنك من مراقبة ادق التغيرات التي تطرأ علي عضلاتك قبل وبعد واثناء التمرين لأجد ثلاثة متمرنين احدهم هو كمال صديقي والاثنان الباقيان اعرفهم شكلا فقط سلمت عليهم سلاما فاترا واتبعته بـ(عاش يا وحش) كنوع من انواع اتباع التقاليد لأتجه نحو كمال

– ازيك يا معلم عامل ايه؟

– أنا تمام الحمد لله أنت اخبارك ايه؟ لينا فترة ماشفناكش

– امتحانات بقي وكده

– اشطة تعال ساعد معايا في التمرينة دي

يرقد كمال علي جهاز لتقوية عضلات الصدر او ما يطلق عليه (البنش) وهو يدفع وزنا يكاد يقترب من وزني مرة ونصف يدفعه بكلتا يديه وهو نائم بظهره علي كرسي خشبي يستمر في عداته وعند العدة السابعة يصرخ وهو يجاهد ضد ثقل الحديد فأساعده بدفعة خفيفة من يدي

لأكمال الضغطة ووضع بار الحديد علي الحامل خلف رأسه قبل ان يعتدل من علي كرسيه. في نفس اللحظة تقريبا ينهي الاثنان المتمرنان تمرينهما ويرتديان ملابسهما ويغادران الجيم يقوم كمال داخلا حمام الجيم ليأخذ دوش مياة وهو يسلم لي مفاتيح الجيم قائلا

– أنا هادخل اخد دش علشان هاطلع عالغيط علي طول خلص تمرينتك وابقي سلم المفتاح للكابتن بقي

يعقد الاحراج لساني ولا استطيع ان اخبره اني اتيت لتمضية بعض الوقت فأقرر ان اتظاهر بالتمرين لحين انتهائه من حمامه وانصرافه لأذهب لأسلم مفاتيح الجيم فأنا في غني عن ان تظل عضلاتي تؤلمني لأسبوع عاجزا عن رفع كوب ماء جراء هذة التمرينة اتجه الي اقرب جهاز الي قلبي في مثل هذة اللحظات وهو جهاز تمرين عضلات الوسط لأقف اتلوي عليه كالراقصة محاولا ان اصطنع الجدية والهمة في التدريب قبل ان يدخل احدهم. هذا الشخص الذي لا اعرفه هو تجسيدا حيا لكل ما كان يريد سرحان عبد البصير ان يصف به قاتل الراقصة عنايات ابو سنة فهو (عريض المنكعين مفتوش العضلات مشرئب الفلكات .... شلولخ) دخل هذا الرجل وبدأ يتمرن ويبدو انه كان في حالة مزاجية سمحت له ان يغتصب حديد الصالة حتي خلت اني اسمع انات الحديد صارخا بالرحمة مما يفعله به هذا الكائن. لم يطلب هذا الكائن مساعدتي في التمرين وكان يستخدم اوزانا خرافية ويصدر اصواتا كنت اشعر معها ان حوائط الصالة سوف تنهار علينا وارضية الصالة تتموج وكأن بعدا

جديدا يجاهد لكي يظهر للعيان . لم يكن يشعر هذا الكائن بأي شيء سوي حديد الصالة وكأنه يمارس معه علاقة حميمة . راقبته لدقائق حتي شعرت منه بالرعب وأنا اتخيله غاضبا وبدت لي هذة الدقائق دهرا حتي قررت ان ادخل لكمال لأخبره بما يحدث دخلت اشعر بالخجل ان اتكلم مع كمال وهو في وضعه الحالي كي لا يظن بي الظنون ناديته بصوت خفيض

– كمال . . يا كابتن كمال

يفتح كمال فتحة صغيرة من باب الحمام ليطل علي بوجه الغارق بالمياة فقط من خلال الباب بينما اختفي جسده خلف الباب وهو ينظر لي بنظرة متسائلة

– في حاجة يا معتز؟

– في واحد شكله عجيب كده اول مرة اشوفه دخل يتمرن وحاسس انه هايهد علينا الصالة

يجيبني كمال في بساطة

– هو النهاردة ايه؟

– النهاردة الاربع اشمعني؟؟

– لا عادي ده تلاقيه عاشور عنده تمرينة النهاردة ولا حاجة

– عاشور مين يا عم كمال؟

– عاشور العفريت يا ابني أنت ماتسمعش عنه ولا ايه؟؟

ما ان اسمع منه هذة الكلمة حتي يصبح لساقي عقل بمفردهما اطلق لساقي العنان لأنطلق بسرعة البرق جاريا من الصالة لا الوي علي شيء وبعد ان اجري مسافة ليست بالقصيرة اتذكر ان معي مفتاح الصالة ماذا افعل في هذة الورطة (المقندلة) ليس من السهل علي ان ارجع للصالة مرة اخري لاصبح وجها لوجه مع عاشور فأقرر ان اذهب للكابتن صاحب الصالة لأعيد له المفتاح اطرق عليه باب بيته ليخرج لي فأسلم له المفتاح ولكنه يلاحظ ما بي من اضطراب

– في ايه يا معتز مالك

– لا مفيش اصل كمال قال لي ...

– كمال مين يا ابني؟؟

– كمال ابو المجد اللي بيتدرب معانا في الصالة!!

– يا ابني كمال نزل لأخوه مصر من تلات ايام ولسة ماجاش

اسمع منه هذه العبارة فلا يتلقي مني أي رد سوي نظرة (حسبي الله ونعم الوكيل فيكوا انتوا الاتنين) قبل ان اتركه لأجري في طرقات القرية باحثا عمن ينجدني من مستشفي المجانين الذي يبدو ان قدمي قد

انزلقت فيه بالخطأ

– بتجري كدة ليه يا اسطاااااااااا

تطرق هذة العبارة مسامعي وكأنها قادمة من بئر عميق قبل ان انتبه الي انها قادمة من احد افراد شلة الانس وهي شلة زملائي في المدرسة في القسم العلمي وهم سامح صديقي الصدوق وعامر ودياب. ابحث في ذهني عن رد لاذع اجيب به هذا الحشري فلا اجد فأجيبه محاولا ان اقتصد في كلماتي قدر الامكان كنوع من انواع الرخامة وأنا التفت نحوهم محاولا ان ارتدي عباءة الهدوء مخفيا تحتها مايعتمل داخل نفسي ولكني افشل فيبدو واضحا لهم ما اشعر به كما لو كنت شفافا انطق بما يبدو متناقضا مع مظهري

– لا عادي يا رجالة

يواصل عامر الضغط محاولا استنطاقي

– كده وعادي؟ امال لو مش عادي كنت هاتبقي عامل ازاي ؟ أنت يا ابني وشك ابيض مفيهوش نقطة دم

لا اجد بدا ان احكي لهم وأنا متوقع ما سيحدث وما ان انتهي من حكايتي مع عاشور حتي ينفجر الجمع في الضحك بينما يحاول سامح ان يدافع عني

– في ايه يا جدعان ... ماتشتغلوش الراجل .. اكيد شاف حاجة يعني

مش هايألف الراجل

يستطرد دياب محاولا فتح اكتر من جبهة في الهجوم علي لغرض ما في نفسه

– امال هاتعمل ايه لو أنت ماشي في ترب بقي وطلع من تحت الارض ايد هيكل عظمي مسكت رجلك؟؟

اجيبه وأنا اقع في الفخ واعلم انه فخ يمنعني من عدم الوقوع فيه بعض من كبرياء احمق احاول به الا ازيد الطين بلة

– يا عم هيكل عظمي ايه أنت شكلك بتشوف افلام اجنبي كتير

يتنهد دياب لأشعر بدخان يخرج من فتحتي انفه كأي تنين يحترم نفسه قبل ان يجيب بكلمات متوترة تجعل اهراما دقيقة من الثلج تزحف علي عمودي الفقري

– طاب والله الواد عدوي حصل معاه كده وحكالي وبيحلف بالله انه طلع يجري لدرجة ان الايد انفصلت وراح تاني يوم بالنهار دفنها

اشعر بالفخ قادما لا محالة قبل ان اجيبه بطريقة هي المادة الخام للسماجة

– ياعم بطل هري ابوس ايدك كل الكلام ده حوارات

يتطوع عامر ليطبق الفخ علي رقبتي قائلا

– يعني أنت عايز تفهمني انك تقدر تخش الترب بالليل؟؟

اتلعثم شاعرا بأسنان الفخ تطبق علي قدمي قبل ان اجيبه من وسط صرير اسناني الذي شعرت معه انها قد انبرت لنصف طولها داعكا راحتي في بعضهما وأنا اقاوم فكرة هرس ملامحه بقبضتي علي الرغم من كونها محببة لي في هذة اللحظة قائلا

– ترب ايه يا ابني؟؟.. الكلام ده فارغ

يخرج عامر من جيبه سكينة صدئة معوجة الاطراف وكأنها خارجة للتو من فك ديناصور كان يحاول تسليك اسنانه بها قائلا وعلي وجهة نظرة ذئب جائع

– طيب خد السكين دي اغرزها في الارض في وسط الترب وتعال بعد ما تخلص صلي معانا الفجر في الجامع الكبير وبعد الصلاة هانشوف تم ولا قلبت فرخة؟

لا أجد ردا أرده متحاشيا الا الكمه في انفه لتخترق قبضتي رأسه وتخرج من الناحية الاخري علي غرار افلام الكارتون بينما تدوي في رأسي صفارة غلاية كبيرة قبل التقط منه السكينة وأنا العنه بأقذع الالفاظ في سري الشجاع محاولا ان افكر في مخرج من هذا المأزق دون جدوي يتركني الجمع متجهين للجامع ولا يملك لي سامح سوي ربته علي كتفي يحاول ان يواسيني بها متمنيا ان انجح في هذا الاختبار حتي لا اتحول

الي اضحوكة القرية لعدة شهور قادمة. اتركهم لأتحرك بقدمي (قنديل بحر) متجها نحو مقابر القرية التي تقع بجوار محطة القطار علي اطراف القرية في منطقة رملية تختلف طبيعتها الجغرافية عن طبيعة القرية كلها دون أي سبب واضح امشي بموازاة شريط القطار قليلا قبل ان انحرف في طريق ترابي جانبي علي جانبيه اشجار ونخيل وحشائش زرعت كي تعلم الطريق وتركت دون رعاية لتحتل جزءا من الطريق مما جعل كل خطوة لقدمي تصدر صوتا جعلني اشعر وكأن هناك من يطاردني ولكني نفضت هذة الخيالات عن رأسي وأنا اواصل المشي في طريقي محاولا ان انتهي من تلك المهمة الثقيلة علي عاتقي لأصل الي المقابر وابدأ في المشي وسطها وضوء القمر الخافت يلقي بظلال مخيفة علي كل شيء ادقق النظر في مكان خطواتي تحسبا لأي مفاجأة ولكني اطأ فرع شجرة يابس تحت قدمي ينكسر بصوت مسموع يجعلني اجفل لثانية قبل ان اقرر ان اتوقف في مكاني واخرج السكينة الصدئة لأطعن بها ارض المقابر في مشهد مخيف وأنا اتوقع ان تهبط صاعقة من السماء تضرب السكينة وتحيلني الي رماد في لحظات. طبيعة الارض الرملية تجعل توغل السكينة داخل طبقاتها سهلا افرغ من مهمتي في ثوان والتفت لأعود ادراجي ولكني اشعر بشيء ما يعيقني عن مواصلة المشي هناك ما يمسك بقدمي ويثبتها للأرض هل طعنت سكينتي جثة تحاول الأن الانتقام مني؟؟ التفت في الظلام فلا اري شيئا ولكن هل تتحرك هذة الظلال نحوي محاولة الأمساك بي؟ انظر حولي في فزع باحثا عن نجدة ولكني لا أجد اصرخ بأعلي صوتي بآآآآه طويلة عميقة ممتدة تخرج اخر ذرة

اكسجين من رئتي قبل ان انهار فاقدا للوعي . لحظة واحدة مرت علي في ظلام دامس كأن احدهم وضع لي في عيني ملء قطارة من حبر اسود . لا ادري كم مر علي فاقدا للوعي ولكن اصدقائي حكوا لي انهم افتقدوني في صلاة الفجر وبعد الصلاة ذهبوا الي بيتي وايقظوا جدتي يسئلوها عني وهم يظنون اني جبنت عن الذهاب للمقابر ولكنها تخبرهم اني لست موجود وبعد قليل من الاستجواب ينجحون في التملص منها والذهاب الي المقابر بعد ان بدأ ضوء الفجر في الظهور ليجدوني ملقي فاقدا للوعي يوقظوني لأفيق واتثائب وأنا غير مدرك لمكاني بينما اشعر بالم في راسي كأن احد السمكريه يستعدل صاجا ما بالداخل قبل ان اتنبه لمكاني وأنا اتسائل بصوت مسموع

– أنا ايه اللي جابني هنا؟؟

يتكلم سامح بعد أن يبلع ريقه فتنزلق تفاحة ادم خاصته علي طول قصبته الهوائية حتي اكاد اشعر بها تلامس الارض

– ايه يا ابني اللي حصل لك؟ أنت اغمي عليك ليه هنا؟؟

اراهم بعضا من الاشباح تحاول مواصلة الهجوم علي فأصرخ

– ابعدوا عني اللي هايجي جنبي هابهدله

لست ادري لماذا تفوهت بهذا التهديد الاجوف ولدهشتي يبدو علي سامح انه صدقني فيتراجع خطوتين للخلف وهو يجيب

– في ايه يا بني اسمع بس هو ايه اللي حصل؟

ينظر الثلاثة لي بشك , بينما ابادلهم نظرة بلاهة وغباء مطلق كأن احدهم سألني (واحد ماسك سبحة واخوه معاه عشين جنيه كم عدد الطلاب في الفصل) قبل ان اقول

– ايه اللي حصل؟ ... ماهي شورتكوا الخرة

يتدخل سامح محاولا تلطيف الاجواء متقمصا دور مراهم الحفاضات

– استهدي بالله بس واحكيلنا وقوم كده نفض نفسك

احاول القيام فاشعر بنجوم تدور حول رأسي وتختلط الوان كل ما هو حولي مثل تنورة راقص يلف بسرعة الضوء حول نفسه وأنا اقول

– في حاجة مسكتني من رجلي علشان كده ماحستش بنفسي الا وانتوا بتصحوني

احاول الوقوف لأشعر بشيء يثبتني في الارض التفت لأجد السكين الذي زرعته في الارض زرعته خطأ في رجل بنطلوني لينهار الجميع في نوبة ضحك جنونية تتنافي مع جلال المقابر اشعر بغضب جنوني نحوهم فأطاردهم العنهم والكمهم وسط ضحكاتهم قائلا

– الله يحرقكوا مفيش وراكوا غير البلاوي .. اللي هايجيب لي سيرة الحوار ده مالوش عندي غير الجزمة

شاعرا ان هذا الموقف سيتحول لنادرة من نوادر اصدقائي التي سيظلون يتحاكون بها علي مر الزمان .....

تخرج هذة الكلمة بصوت عالي من فمي وكأني استعرته من شخص ما قبل ان افتح عيني لأكتشف اني مازالت علي جلستي خلف مكتبي ولكني تراجع رأسي للاسفل واستغرقت في النوم. بينما يصدح في الخلفية صوت اذان الفجر قبل ان انتبه من نومتي ماسحا عرقي في حيرة وارفع طرف كمي لألتقط به خيطا من اللعاب سال علي جانب فمي قبل ان ادرك مكاني اقوم لألتقط فوطتي واخرج لأعود بعد قليل فأفرد المصلية واصلي الفجر

****

مبني مدرستي الثانوية المشتركة التي افنيت فيها ثلاث سنوات من عمري دون استفادة تذكر اللهم سوي بعض قواعد النحو والجغرافيا وما الي ذلك من معلومات تبخرت حال خروجي من امتحانات اخر العام والتي تقع في مدينة مجاورة لقريتي بينما تجمع اولياء الامور حول سور المدرسة وقد نم الجو العام عن توتر اتركهم واتجه لفصلي لأكتشف وجودي علي تختتي بينما نري مراقب الامتحان اصلع بدين يرتدي بدلة صيفية يوزع اوراق الاجابة علي طلبة الفصل وهو يقول في غتاتة متعمدة

– اي حد معاه اي حاجة يطلعها برة ممنوع الالة الحاسبة والتليفون المحمول

واي مسطرة هاشك فيها هاطلعها برة واللي....

اقاطعه في جذل مستعذبا الضغط علي اعصابه

– الة حاسبة ايه يا استاذ احنا في امتحان عربي

يقترب مني ليمسكني من ياقة قميصي قائلا بلهجة رؤساء العصابات وهو يهزني كمن يهز زجاجة دواء قبل الاستخدام

– شكلك لمض ياد مش عايز كلام كتير

يجيبه احد تلاميذ الفصل بطريقة اعلان المسرحية الشهيرة

– الة اله اله ايه.....

يرد عليه تلامذة الفصل كلهم في سمفونية بدت كأعذب الالحان في اذني ونحن نحاول فرض سيطرتنا علي اللجنة

– الة الة حاسبة

يعلو صوت المراقب محاولا استعادة هيبته ولولا خوفه من الاهالي بالخارج والملامه من بقايا ضمير يمتلكه لأخرج من جيبه مطواه غرسها في خشب اول تخته

– اخرس منك له لحسن الغيلكوا الامتحان

يسود الصمت ويؤثر الجميع السلامة وقد احس الجميع بالخطر بينما

يخرج المدرس اوراق الاسئلة من احد المظاريف ويدور علي كل تلميذ يسلمه ورقته متمنيا كل طرف ان تكون هذة الورقة هي ورقة طلاقه من المدرسة وانتقاله اللي عالم الجامعة الرحب يركز كل تلميذ في ورقته ليحل امتحانه منفصلا عن الوجود لا يشده للواقع سوي مرور المراقب بجواره مسببا له التوتر دون سبب معروف

اتمني ان تعذروني علي عدم ترابط الاحداث فأنا اسردها لكم من ذاكرتي المليئة بالثقوب كقطعة من الجبن الرومي المعتق

ها أنا ذا اجلس الي كنبة الانتريه الاسيوطي التي تحتل موضع الصدارة في صالة بيت جدتي الريفي وألتقط ريموت التليفزيون لأفتحه وأقلب في قنواته حتي أستقر علي قناة تعرض فيلم رعب (لا اعرف شغفي لمشاهدة افلام الرعب ولكنها حقا تستهويني) اشاهده في استمتاع واضح وعندما أبدأ في الاندماج مع الفيلم كما هي العادة يعلو صوت جدتي (الفصيل) مناديا

– معتز

اجيبها في تلقائية لا اعني ما اقول

– ايوه يا تيتا

– تعال عايزاك

اقوم مثاقلا كأن احدهم ربط طنين من الرصاص في اقدامي متجها نحو جدتي في المطبخ مكانها الاثير في البيت ادخل عليها من باب المطبخ قائلا

– ايوه يا تيتا عايزة ايه؟

– عارف زلعة المش اللي في البلكونة دي

– مالها يا تيتا ارميها في الشارع؟

– اسكت يا خايب أنت عارف حاجة.... خد قرنين الفلفل دول حطهم فيها

– حاضر يا تيتا

انصرف ملبيا طلب الجدة ممنيا نفسي ان اتابع مشاهدة الفيلم دون اي منغصات اعود لأجلس الي كنبة الانتريه واتابع في استغراق واضح مشاهدة نفس الفيلم قبل ان يعلو صوت جدتي في نفس اللحظة التي لا أتوقعه فيها قائلة

– معتز

اجيبها في ضجر من يوشك علي نتف شعر رأسه

– ايوه يا تيتا ثواني بس الحتة دي جامدة وجاي

فتجيبني بصرامة صف ضابط يستهوي تعذيب احد المجندين الجدد تحت امرته

– خد دلوقت هو أنا في بلد تانية وابقي ارجع كمل فرجة

اجيبها بصوت يقطر ندما اني اخترت البيت لتمضية هذة الامسية

– حاضر حاضر يا تيتا

اقوم وأنا مستاء ولي لوعة لألبي طلب جدتي لأدخل في لهفة عليها محدثا اياها محاولا ان انجز والخص في الدور

– ايوة يا تيتا عايزة ايه؟

– خد الخيارتين دول حطهم في زلعة المش .....

اقاطعها في ضجر مانعا اياها من سرد قصة الزلعة علي مسامعي مرة اخري انه الزهايمر اللعين قائلا

– زلعة المش اللي انتي بتحنطيها في البلكونة دي

تجيبني بقول غير معروف وصدقة يتبعها اذي

– ماهو كله ليك ياخويا

اتركها وانصرف مجيبا طلبها وأنا أتعجب من سلة النفايات التي تمثل بالنسبة لها كنزا من كنوز علي بابا والاربعين حرامي ثم اعود لأجلس

الي كنبة الانتريه اشاهد نفس فيلم الرعب باستمتاع واضح لأنغمس فيه بكل حواسي قبل ان يخترق اذني صوت جدتي مناديا أسم اكثر من اكرهه في حياتي البائسة

– معتز

اتجه نحوها راضيا بأمري الواقع محاولا تجنب اصابتي بأنهيار عصبي وأنا ابرطم قائلا

– أنا ايه اللي قعدني في البيت النهاردة كنت نزلت في اي حتة بدل المرمطة دي

– بتقول ايه؟

ارد محاولا انقاذ قفاي من طرقعة كفها عليه

– بقول حاضر جاي

ادخل من باب المطبخ قائلا في ضجر واضح

– ايوه يا تيتا

– خد قشر البرتقان ده حطه

هل شعر احدكم بالدهشة وهو يقرأ الروايات اليونانية القديمة وتفننهم في تعذيب ابطال هذة الروايات؟ ما هو شعورك الان (طبعا اللي بيحصل

في الاساطير اليونانية ده مجرد زغزغة) مقاطعا اجيبها

– في زلعة المش اللي في البلكونة

– عليك نور أنت عرفت منين؟

استدير مغادرا المطبخ لاعنا الزهايمر متخيلا ان ياتي اليوم الذي تبادرني فيه جدتي بالسؤال الوجودي الخالد (أنت مين؟) بعد ان أخذ القشر ثم استدير لأحادثها قائلا

– بقولك ايه يا تيتا أنا في عندي فردتين شبشب اتقطعوا ايه رأيك احطهم في الزلعة بالمرة

– شكلك أنت اللي وحشك الشبشب

تنحني الجدة نحو شبشبها الذي تلبسه مهددة اياي فأنطلق جاريا وأنا العن في سري الذاكرة التي تعود في غير وقتها قائلا

– علي ايه الطيب احسن

****

اجلس فوق احد الاشجار اتابع سامح ومجموعة من فلاحي القرية يجلسون في ظل شجرة كبيرة تم رص موائد وكراسي المقهي تحتها لتشكل مقهي فلاحي فريد الطراز بينما التقف كل فلاح جوزة بغابة بوص يقبلها قبلات طويلة ليخرج علي اثر القبلة دخانا كثيفا من

افواههم كدلالة علي حرارة القبلات بينما اجدني اقترب من سامح لأجلس بجواره فيبادرني قائلا

– ايه يا معلم مختفي ليه بقالك فترة؟

اجيبه في بساطة وبدون تكلف

– أنا قلت اسيبك تخلص امتحاناتك ....ها ناوي علي ايه طب ولا هندسة؟

– كل اللي يجيبه ربنا كويس ...وأنت ناوي علي ايه؟

– اقتصاد وعلوم سياسية دعواتك بس ربنا يكرمنا في النتيجة

يتدخل احد المتفلحسين في الحوار قائلا في تذاكي لا تخطئه العين

– ربنا يكرمك يا استاذ معتز وتدخل طب يارب ونشوفك دكتور قد الدنيا

اجيبه بعد ان قفلني بعبارته قفلة لن تنفع معها مفاتيح الدنيا كلها

– طِب ايه يا سيدي؟ ... أنا أدبي

فيقاطعني بجملة تكتمني كتمة كحك يحتوي الكيلو منه علي نص طن من السمن البلدي

– والله ادبك مش علي حد يا أستاذ معتز

اتركه لأقوم مغادرا الجلسة متلافيا انفجار مرارتي حامدا الله انها مازالت تتحمل معي ما أمر به وأنا أغمغم وسط دهشة سامح اللذي يتابعني بعينيه

– حقك عليا يا سيدي أنا غلطان

****

الان تظهر النتيجة (وكما قال الشاعر اللي مش فاكر اسمه عند نتيجة الامتحان يكرم المرء او يهان) ادخل حوش المدرسة الممتلئ بالطلبة اولاد وبنات جاءوا لمعرفة النتيجة اقترب مني وقد بدا علي السعادة (وفشخت) ضبي حتي ظهرت اللوز واللهاة ولسان المزمار وأنا اتلقي التهاني من عدد من الطلبة قبل ان المح اروي (ذلك الكائن الشفاف الذي ما ان اراه حتي تتعطل عندي قدرتي علي التفكير السليم علي أساس إن ده بيحصل أصلا في الاوقات العادية وتنتابني مشاعر قوية محاولا اثارة اعجابها دون أن أدري لماذا) وهي تمشي في حوش المدرسة فأقترب منها قائلا في لزوجة برميل شربات صناعي

– ازيك يا اروي فكراني؟

– طبعا فكراك ازيك يا معتز اخبارك ايه؟

يا الاهي انها تتذكرني يالوقع هذة الكلمات علي اذني انها تعدل الف

سيمفونية سعيدة تشترك كل طيور الكون في عزفها

– تمام الحمد لله خمسة وتسعين في المية وانتي؟

احاول ان افتح أي منفذ لحديث اتمني أن يطول

– مش عارفة اجيب النتيجة الدنيا زحمة قوي

انها فرصتي لاثبت لها اني رجل يمكن الاعتماد عليه تنشق الارض وتبلعني وأنا اقول لها

– طيب ثواني وهاجيبهالك

أغيب قليلا وأترك اروي ترتجف كورقة في مهب الريح من فرط الاثارة والتوتر قبل ان اعود واجما انظر نحو الارض

– ايه في ايه؟

استمتع بخوفها لأخر قطرة في سادية قلما تتكرر وأنا اجيبها في خفوت متحاشيا تلاقي عينينا

– مفيش

تجيبني في خوف وهي تهتز كأنها توشك ان تطير

– طيب قول النتيجة ماتخضنيش

اجيبها ناظرا للأرض في حزن مستمتعا

– معلش يا اروي بقي..... شكلك جبتي مجموع اكبر مني

تتقافز اروي في سعادة كطفلة اكتشفت منجما من المصاصات حمراء اللون بطعم الفراولة قبل ان تقول

– جبت كام يعني؟

– ماتفرحيش قوي كده انتي ازيد مني بنص في المية بس ..... ها ناوية علي ايه؟

– اقتصاد وعلوم سياسية ان شاء الله

لسان حالي الان يقول (حبيبي يا أبو أشرف) لولا خوفي ان تظن في السوقية وهي في محلها طبعا فأمسك نفسي بصعوبة قائلا

– ماتسيبوكوا من التقليد الاعمي ده بقي..... بس ده معناه انك هاتنزلي القاهرة

– وايه يعني؟

.. تبا لك يا كريستيانوا قلبي الصغير لا يحتمل ... هل يمكن ان يكون في هذا الكون من هو اسعد مني في هذة اللحظة؟ احاول السيطرة علي مشاعري ومجاراتها في الحديث

– وهاتسكني فين؟

– هاروح مدينة الطلبة اكيد .... هاروح ابشر ماما بقي ..... الف مبروك يا معتز

– الله يبارك فيكي

تنصرف اروي بينما يتبعها معتز بعينيه ويترك لها قلبه يوصلها حتي باب منزلها وهو يعزف موسيقي مارشات عسكرية محييا اياها طول الطريق

اري نفسي في ومضة الذاكرة هذة اجري في الطريق المؤدي لبيت جدتي من علي البعد حتي ادخل من باب البيت وقد بدت علي السعادة بينما يتصبب العرق علي وجهي من حرارة شمس اغسطس الحارقة التي تحاول طمس ملامحي كمكواة ملابس تحاول طمس كسرة علي احد القمصان ادخل من باب البيت صارخا

– تيتا تيتا باركيلي يا تيتا

الف مبروك يا حبيبي.... لللولوولي

ترن زغرودة الجدة تهز الانحاء قبل ان تظهر الجدة قادمة من المطبخ لتحتضنني قائلة

– جبت مجموع كام؟

– خمسة وتسعين في المية ولا فخر... يعني اقتصاد وعلوم سياسية

بالثلث

في هم وحزن

– يعني هاتسيبني وتنزل مصر

– ماهو ياستي مش هاينفع اسافر رايح جاي

– ماشي يابني اللي يريحك ربنا يوفقك يارب

احتضنها واريح رأسها علي صدري وأنا اشعر بحنين واشتياق لها منذ الان هذا الحنين سرعان ما سأنساه انها طبيعة المراهقين وأنا لن اشذ عن القاعدة

****

انام ممددا علي سريري شابكا يداي خلف راسي محملقا في السقف شاردا شرودا تاما لا يشغل تفكيري سوي اروي لاعنا الاجازة الصيفية التي ابعدتني عنها متمنيا ان اذهب غدا للجامعة لا يمنعني سوي شعوري بالذنب. فهل سأنغص علي جيل بأكمله لمجرد اني اريد ان اري اروي

– مساء الفل يا سيدي ي ي ي

هذا الصوت اعرفه ولكنه يأتي من بعيد مصحوبا بصدي صوت يشبه صدي الصوت في الافراح الشعبيه ولكني اتجاهله واستمر في تأملاتي ليعلو الصوت لينتزعني من تأملاتي

– أنت يا بني سيبك من الشرابات اللي بتشمها دي

افيق من شرودي لأنظر لمصدر الصوت الم اقل لكم اني اعرفه انه سامح كيف دخل لهنا ومنذ متي؟

– ايه في ايه؟... هو أنت ايه اللي جابك هنا؟

– ايه اللي جابني هنا؟؟..... الموضوع شكله كبير يا معلم ..... احكيلي

اجيبه وأنا اعود لأغوص في مكاني محاولا اصطياد فكرة عن اروي او تذكر ملامحها وأنا اقول في غموض مفتعل

– الموضوع اسهل مما تتخيل

– ماهو ده السهل الممتنع يا بني

اتجاهل سامح وأترك امواج تأملاتي وشرودي تسحبني نحو الاعمق لأغني اني اغرق اغرق اغرق

****

انقضت الاجازة الصيفية سريعا وحان موعد سفري احمل حقيبتي واتجهز وانزل لأجد جدتي تقف علي باب المنزل تودعني وهي تكافح لتمنع نزول الدموع من عينيها اسلم عليها والثم خدها وكفيها قبل ان اقول

– يلا يا ستي هاتعوزي مني حاجة؟

– مع الف سلامة يابني

– دعواتك بقي يا ستي

– روح يابني ربنا يبعد عنك صحاب السوء

(طيب والنبي اروح اعمل ايه بقي يا ستي انتي كده بوظتي السفريه وكده الشلة كلها هاتختفي) هكذا افكر وأنا اتركها واتجه نحو الطريق الرئيسي لأخذ من عليه ما يوصلني لمحطة اتوبيسات السوبرجيت المتجهة للقاهرة وأنا لا احاول الالتفات خلفي لأني متأكد اني لو فعلت سأجد جدتي تمسح دمعة حبيسة فرت من عيونها رغما عنها وقد يجعلني هذا اتراجع عن السفرية كلها (بلاها تعليم بقي)

أدخل موقف السوبر جيت حاملا شنطتي لأقترب من شباك التذاكر لأقطع تذكرة وأتجه الي احد كراسي الانتظار لأجلس اليها منتظرا ثم أخرج من جيب الشنطة –لاعب ميم باء ثلاثه– (ام بي ثري بلاير) لأدس سماعاته في اذني واستمع لرائعة فيروز نسم علينا الهوا لأجد

اتوبيس فاخر مكيف الهواء يدخل المحطة مارا علي فأتنبه لدي رؤيتي له وأقف محاولا الاقتراب منه وركوبه. يتوقف الاتوبيس ويصعد بعض الركاب اتبعهم وأجلس الي احد الكراسي بينما يتوالي صعود الركاب بعد ذلك حتي ينطلق الاتوبيس . بعد ان يمشي الاتوبيس مسافة قليلة تبدأ الانوار في الانطفاء ويشغل السائق جهاز الفيديو الخاص بالاتوبيس ويبدأ عرض فيلم اجنبي كوميدي

(Just like heaven)

بعد قليل يتوقف الاتوبيس ليركب راكبين احدهما رجل في اواخر الخمسينات من العمر يرتدي جلبابا بلديا واسعا ويضع علي رأسه عمة ضخمة يقترب مني ليجلس بجانبي فلا اعيره اي اهتمام حيث اني منهمك في مشاهدة الفيلم بعد قليل يميل علي الرجل ليسألني

– هو الواد ده بيقول للبت دي ايه؟ هه ؟ هه؟

(هي شكلها ليلة فوشية) هكذا افكر وأنا ارد عليه وأنا امسك حنجرتي في اشارة بليغة

– بيقول لها انه مش طايقها واتخنق منها

– وبيقولها كده ليه؟

مش قلت فوشية ربنا يستر ومرارتي تستحمل معايا لأخر السكة اجيب في سماجة مفتعلة

– مش عارف والله يا حاج

يتركني الرجل لأنهمك في الفيلم قليلا قبل ان يعود ليميل علي ويسألني وعلي وجهه ابتسامة بريئة انه لا يتعمد فقع مرارتي ولكنها ستنفجر اولا قبل ان تستفسر منه ان كان قاصدا ام لا

– البت دي واقفة ازاي في نص الطرابيزة كده

اجيبه يائسا بائسا متمنيا ان يتم تقسيم الاتوبيسات الي كبائن تشبه كبائن التليفون حتي اتخلص من هذا الوغد

– ماهي اصلها عفريت يا حاج

– اوبا دي رمت نفسها من الشباك وعدت جواه

(اوبا ده أنت بتعلق علي ماتش بقي لا فوشيا فوشيا) اجيبه مسترحما اياه ان يرحم ضعفي ويتركني اتابع الفيلم او علي الاقل يتركني وشأني في سلام وسكينة

– اه ما أنا شايف يا حاج

– أنا بحب الافلام الاجنبي موت بس مابفهمش كلامهم ونظري ضعيف مابعرفش اقرا الترجمة بس ايه سيبني أنت علي اجعصها فيلم اجنبي وأنا افهمهولك وهو طاير كده

احاول ان انهي النقاش بشياكة قائلا

– ماشي يا حاج

يبدو انه احس فقد صمت الرجل قليلا وتركني اتابع احداث الفيلم وأندمج قليلا قبل ان يصيح فجأة

– اوعي اوعي دول جايين وراكي

لو انك تجيد قراءة الملامح فلن تخرج ملامحي عن عبارة واحدة تجلت بوضوح علي وجهي (هي ليلة سودة وأنا عارف ... ارحم دموع عنيا يا حاج ارجوك)

– يا عم الحاج مش هايسمعك ده فيلم

يظل الرجل يتحدث ويثرثر بلا انقطاع وأنا اتفاعل معه ب (اه ها اها) واومئ برأسي مؤمنا في ضجر وملل مطلقين محاولا ان اتفادي غز نفسي بمطواه قرن غزال لأتخلص من هذا العذاب المقيم . يتوقف الاتوبيس ليقل احد الركاب الذي يصعد للاتوبيس ويقترب موجها حديثه لي قائلا

– الكرسي ده فيه حد؟

اجيبه

– نعم؟

وأنا اقصد (يا روح امك) ولكن منعني حيائي ان اكمل عبارتي

بهذة الطريقة وأنا اتسائل لماذا يتقاطع طريقي مع طريق كل معاتيه مصر المحروسة

– يا استاذ بقولك الكرسي ده حد قاعد عليه ولا حاجزه؟

انه مصر . . اصراره شككني في نفسي وهز يقيني فألتفت ببطء وعلي وجهي امارات الرعب نحو الكرسي المجاور لأكتشف انه فارغ. فأصرخ في رعب

– الحقوني

يسحب احدهم فيشتي من كوبس الحياة فأسقط مغشيا علي بينما يصرخ الرجل مندهشا

– الحقوني يا جماعة . . الراجل ده ماله؟

يستمر الاتوبيس في سيره بينما يحاول الركاب انعاشي بينما يردد الرجل وقد سابت مفاصله

– يا استاذ يا استاذ فوق ياعم الله يهديك

أفتح عينيي في صعوبة لأبصر الراكب مقتربا مني فأجفل منه قليلا قبل ان أعود لهدوئي قائلا

– حصل خير الحمد لله

(مش قولتلكوا سودة محدش صدقني) ينفض المولد من حولي بينما يواصل الاتوبيس سيره حتي يدخل الاتوبيس المحطة ليتوقف علي رصيفه بينما المحطة غاصة بعدد كبير من الركاب من كل الأعمار والاشكال يبدأ ركاب الاتوبيس في النزول و أنا معهم اتوقف قليلا علي ارض المحطة شاعرا بالحيرة قبل ان ابحث بعيني عن دورة مياة المحطة لأجدها فأتجه نحوها وأدخلها

لأتجه نحو باب الحمام الوحيد الموجود بها فأجده مغلقا أنقر عليه نقرتين بأصابعي فأسمع صوتا من الداخل

– احححححم

أنتظر قليلا وقد بدأت مثانتي في الصراخ احتجاجا انها في حاجة ماسة لأطلاق سراح ما بها فأطرق الباب مرة اخري ليرد علي نفس الصوت

– احححححم

اتركني واقفا اتلوي امام باب الحمام لأمر عبره فأكتشف ان الحمام فارغ أكمل مسيرتي لأعبر خلف الحمام لأكتشف قطعة ارض خراب بها اكوام من الزبالة وثلاثة من الشباب يجلسون يتبادلون (جوان) بانجو كبير فيما بينهم بينما يقف احدهم مستندا بيده علي شباك الحمام اسمع صوت طرقاتي مرة اخري علي الباب في الحاح ليرد هذا الشاب

– احححححم

اعود لي خارج الحمام وأنا اتلوي نتيجة رغبتي الملحة في تلبية نداء الطبيعة اطرق الباب مرة اخري في عنف بعد ان فاض بي الكيل ولم اعد استطع التحمل اكثر فيتحرك الباب منفتحا. يبصره الشاب فيغطس مختفيا بينما أفتح باب الحمام مترددا فأكتشف خلو الحمام من اي شخص يبدو علي الرعب وأنا أبحث عن من كان يرد علي قبل ان أطلق ساقي للريح هاربا من دورة المياة

(هل تساءلت قبل الان كيف اكتسبت القدرة علي العودة في الزمن لاشاهد نفسي والاحداث من حولي ..... لا ادري من اين ولكن واصل القراءة فقد تفهم)

أخرج من باب الدورة مسرعا اتلفت حولي في رعب قبل ان أتجه نحو باب المحطة مغادرا متسائلا اين ذهب ما كنت اريد ان افرغه في دورة المياة لا ادري ولكني لا اشعر بحاجة ماسة لدخول الحمام ولا حتي اشعر بالبلل؟!!!

****

مقهي عادي من مقاهي الاماكن الشعبية وقد امتلأ بالرواد بينما يتحرك صبي المقهي في نشاط موزعا المشاريب علي الرواد

– وعندك اتنين شاي بحليب هنا للبهوات

يدخل الصبي المقهي ليجلب كوبا من الماء لينزله لاحد الرواد الذي

يتناول ساندويتش طعمية قبل ان يسأله

– الباشا يشرب حاجة

– هات شوية قهوة سكر زيادة

– وعندك واحد قهوة كعب عالي هنا للبيه

يغيب الصبي ليدخل المقهي بينما أدخل من باب المقهي وقد بدا علي الارهاق من حمل الشنطة والعطش الشديد من حرارة الشمس لأجلس متهالكا علي اول كرسي يقابلني يقترب مني الصبي في ود

– الباشا يشرب ايه؟

– اي حاجة ساقعة لونها اسود

– عيني ياباشا

يغيب الصبي متجها نحو ديب فريزر ليستخرج منه زجاجة مشروب غازي قبل ان يدخل المقهي ليرمي ماركة الي الرجل الواقف علي النصبة ويعود بصنية عليها كوبا ممتلي بالمياة واخر فارغ وزجاجة المشروب الغازي ليقدمهم لي ويفتح الزجاجة ويضعها امامي . ارتشف قليلا من المشروب الغازي في شرود وبطء بينما يغيب الصبي ليعود بشيشة ليقدمها الي احد رواد المقهي قبل ان يقترب مني متسائلا

– شكلك غريب مش من هنا يا باشا

ابحث بداخلي عن ملصق (مش من هنا) نسيته لم ازيله من علي جبهتي قبل ان اجيبه

– اه أنا بدور علي سكن

– سألت عم محروس ؟

– محروس مين؟

– السمسار يا باشا بتاع المنطقة

– فين ده؟

يتلفت الصبي حوله قبل ان يقول

– المكتب بتاعه هنا في القهوة بتاعتنا ياباشا دقيقتين ويكون جاي

– طيب لما يجي قولي عليه

– من عنيا يا باشا

يتشاغل الصبي في عمله قليلا تاركا اياي ارتشف مشروبي في بطء متزامنا مع دخول رجل في اواخر الاربعينات من العمر مرتديا قميصا وبنطلونا كلاسيكيان يبدو عليهم القدم متجها نحو احد الموائد ليجلس عليها يقترب الصبي منه مناديا علي وهو يرفع عقيرته بطريقة صبيان المقاهي الشهيرة

– قابل يا عم محروس زبون عايزك

يجيبه المدعو محروس بطريقة (حقك محفوظ يا حربي) قائلا

– تشكر يا حربي

اقوم من مكاني متجها نحو محروس لأسلم عليه وأجلس بجواره راسما علي وجهي اعتي علامات الطيبة والهدوء كشاب مصري استوقفه كمين يسأله عن بطاقته الشخصية قبل ان اتنحنح قائلا

– والله يا عم محروس أنا كنت بدور علي شقة علشان الجامعة وكده..... ياريت تفيدني

يجيبني وأنا اكاد اري افكاره ككلمات علي جبهته العريضه وهو يفكر (طالب يعني وجع قلب بلاها احسن) ويجيبني وهو يتحاشي النظر الي

– والله يا استاذ صعب موضوع سكن العزاب ده كل الاهالي بتخاف علي بيوتها ....

احاول طمأنته بأي صورة ممكنة

– شوف كده يا عم محروس ومماليش بركة الا انت

يمتص محروس (لي) الشيشة ساحبا كميات من الدخان علي صدره قبل ان يخرجها كعربة مكافحة الناموس التي تتبع وزارة الصحة في طريقته الخاصة في التفكير قبل ان يعرض علي عددا من الشقق مرتفعة

الاسعار كنوع من انواع بالونة الاختبار ليعرف مدي استطاعتي المادية فأجيبه

– يا عم محروس كل اللي بتقول عليه غالي عليا قوي مفيش حاجة كده في الحنين

يصمت محروس مترددا قبل ان يقول

– والله أنت ابن حلال في شقة ..... مش هاتكلم عنها كتير يلا بينا

اقوم أنا ومحروس متجهين نحو باب المقهي لنغادره ادفع حسابي بينما يشير محروس لحربي بأشارة راجعلك يا حربي ضيف الحساب عالنوتة

****

انطلق خلف محروس في بعض الشوارع المجاورة للمقهي قبل ان ادخل عمارة فخمة مداخل رخام واسانسير وأنا افكر (يبقي اكيد شقة فوق السطوح .... يلا مش هاتفرق اهم حاجة الدراسة) قبل ان ننزل من الاسانسير لندخل شقة يبدو علي اثاثها انه ذو ذوق رفيع ومساحة الشقة واسعة يدخل محروس وأنا ورائه وقد وقع فكي علي الارض من الدهشة استيقظ علي صوت محروس

– اتفضل يا استاذ معتز

انحني لألتقط فكي لأعيده لمكانه وأخطو داخل الشقة منبهرا بجمالها

وأنا ابحث عن (الإنَّ)

– أنت متأكد ان هي دي الشقة يا عم محروس؟

يجيبني شاعرا بالأهانة من سؤالي

– ايه يا استاذ ايوه هيا

ادخل الشقة اتفقدها قبل ان اقول

– علي بركة الله يا عم محروس دي زي الفل

يخرج محروس من جيبه نسختين من عقد ايجار وقلم جاف يسلمهم لي قائلا بنوع من انواع (الكروته)

– خلاص خد المفتاح وامضي لي هنا وهات شهر ايجار وشهر تامين

(طبعا أنا ما صدقت) أمهرت العقد بتوقيعي وأخرجت نقودا سلمتها لمحروس فيستلمها مني ويلتقط العقد والقلم ويترك لي نسخة وينصرف مغادرا الشقة مغلقا الباب ورائه بينما اجلس أنا لأفكر هل تسرعت؟ لننتظر ما ستكشف عنه الايام. ألتقط شنطتي وأبدأ في ترتيب حاجاتي في الشقة

أغير ملابسي لأرتدي فانلة حمالات وشورت وأرص حاجاتي علي مرأة الحمام فأضع صابونة جديدة وماكينة حلاقة وعبوة رغوة حلاقة ومعجون اسنان وفرشاة اسنان واخري للشعر .

اراني نائما في سريري وقد ضممت ركبتي الي صدري (في وضعية الجنين) وقد بدا علي البرد و(الزفزفة) وأنا مازلت مستغرقا في النوم بينما اري البطانية التي أتغطي بها تطفو علي الهواء في منتصف المسافة بين الارض والسقف. احاول ان اشد غطاءً وهميا علي جسدي عله يقيني هذا البرد القارس بلا جدوي. افتح عيني بصعوبة وبمجرد ان افتحهما تسقط البطانية علي فأقربها نحوي مستمتعا بالدفء غير مدرك لما يحدث. أغفو مرة اخري واتقلب مخرجا يدي من تحت البطانية وبعد قليل أبصر علبة رغوة الحلاقة تطير في الجو مقتربة مني قبل ان تخرج بعض الرغوة منها علي يدي ثم تقع العلبة جانبا ثم أري ريشة تطير في الهواء مقتربة من انفي لتحكه فأهرش في أنفي موزعا الرغوة عليه فأستيقظ ساخطا واتلفت حولي فلا اجد احدا تعلو ملامحي نظرات الحيرة مفكرا (هي دي الأنّ اللي كنت بدور عليها ولا ايه؟) قبل ان اعتدل والتقط فوطة امسح بها يدي ووجهي واحاول ان اعاود النوم مرة ثانية ولكني اسمع صوتا اجشا عميقا يتردد صداه في كل انحاء الغرفة

– تلعب شطرنج؟

ارتعد وأنا اتلفت حولي باحثا عن مصدر الصوت دون جدوي بينما لا يتردد في ذهني سوي كلمة من ثلث حروف الاول الف والاخير الف و الاوسط حرف مختلف يعود الصوت مكررا في الحاح

– تلعب شطرنج؟

(لأ كده كتير) هكذا تصرخ خلايا مخي وأنا اقول

– شطرنج مين دلوقت بس أنا عايز انام

يعلو صوت صفعة قوية ترتطم بقفاي يتحرك لها رأسي متأثرا قبل ان يعود الصوت في الحاح اكثر وغضب وخشونة قائلا

– تلعب شطرنج؟؟؟

اجيبه صاغرا اتحسس قفاي والدم يتدفق انهارا الي رأسي كله وبالاخص مكان الصفعة قائلا

– موافق يا باشا موافق بس من غير مدة إيد

مرتبطا بأخر حروف جملتي يظهر شطرنج عتيق الطراز من الزجاج بالكامل طافيا في سماء الحجرة يتحرك العسكري الابيض الاوسط خطوتين للأمام من تلقاء نفسه فأدور حول الشطرنج ناظرا فوقه وتحته في تعجب

– يانهار اسود يانهار اسود أنا ايه اللي جابني هنا

– ها هاتلعب ولا ناوي علي ايه؟

أمد يدي محركا العسكري الاسود الاوسط خطوتين للأمام وأنا اضع يدي لا ارادیا علي قفاي وتستمر مباراة الشطرنج بيننا وقتا قصيرا قبل ان أسمع صوت الشبح قائلا

– كش ملك

تبدو الحيرة علي ملامحي وأنا أفكر في لعبه العبها العب لعبة ابتغي بها حماية ملكي فيتحرك الوزير الابيض حتي يصير مواجها لملكي بينما نسمع في الخلفية الصوت يقول

– مات الملك

مرتبطا بأخر حروف الكلمة يختفي الشطرنج كما ظهر ويسود الهدوء أظل في مكاني منكمشا علي نفسي قليلا وأنا انتظر وقوع كف مدوي اخر علي قفاي ولكن لا يحدث شيء فأجلس علي السرير ساندا راسي علي شباك السرير عاجزا عن النوم قبل ان اسقط نائما من ارهاق السفر دون ان ادري .

****

أنا الان اتجه لجامعة القاهرة واري ساعتها الشهيرة بينما تشير العقارب الي تمام الساعة التاسعة صباحا ادخل سريعا من باب الجامعة متجها الي كليتي لأدخل قاعة (أ) وهي قاعة تمتليء بطلبة الفرقة الاولي من كلية اقتصاد وعلوم سياسية ادخل من باب القاعة لأقف قليلا متفقدا الطلبة منتشيا (وعامل دماغ صحيان بدري فأنا كائن ليلي مفرط الليلية كما انكم تعرفون ما يحدث في الشقة التي اسكنها) قبل ان الاحظ يدا تمتد مشيرة لي انها اروي صديقة الطفولة اقترب منها لأجلس الي جوارها

بينما تخرج هي دفترا كبيرا لتكتب فيه تاريخ اليوم وعنوان المحاضرة فأبادرها قائلا

– كويس والله انك هاتكتبي المحاضرات علشان ابقي اخدها منك اخر السنة.

تجيبني بطريقة (نعم يا روح .....) قائلة

– علي اساس انك شفاف في المحاضرة يعني ولا ايه؟

فجأة يبرز من بيننا رأس احد الطلبة (بيبرس اكبر مننا قليلا ولكنه ضخم الجثة يحلق رأسه زيرو بالموس ويرتدي قميص كاروهات وبنطلون جينز وجاكت جلد اسود) ويجلس خلفهما قائلا

– لو سمحت دماغك كده شوية مش شايف السبورة

(انه بيبيض) التفت اليه قائلا

– ايه يا عم أنت هاتعمل لنا فيها رائد الفصل

تعلو ملامحه ابتسامة لزجة وهو يقول بطريقة (أنت إزاي ماتعرفنيش)

– معلش معرفتكش بنفسي اخوك بيبرس من النوبة والدهاشنة

(وكمان شرقاوي) اجيبه ساخرا

– والله احنا اندهشنا

امد يدي مسلما علي بيبرس الذي استشعر في سلامة ودا حقيقيا لا اخطأه ابدا قبل ان يمد يده بالسلام إلي اروي (أنت هاتقفلني منك ليه؟) فتتجاهل يده الممدودة بينما تعلو ملامحي ابتسامة غامضة وأنا سعيد برد فعلها وأنا انظر لها في خبث بينما يمسح بيبرس يده في ملابسه وكأنه يمسح الاهانة في ملابسه قبل ان يجيبها قائلا

– نهارنا رز بلبن

يقبل بيبرس يده المضمومة قبل ان يمدها لريم (فتاة قاهرية في نفس سنهم ترتدي طرحة تشك ان اخوها الصغير مختبئ داخلها علي بدي كارينا وجيليه وبنطلون جينز تدخل اطرافه في بوت عملاق يمتد حتي ركبتها) تجلس بجوارها قائلا

– اخوكي بيبرس

تجيبه في تلقائية

– واخبار المماليك ايه؟

يجيبها في بساطة من اعتاد علي هذا التهكم علي اسمه

– والنبي مماليكي بركة الا اخوكي لحسن نفسي بتنكسر بسرعة

يبتسم الجميع في مرح بينما يدخل الدكتور فيسود الصمت بينما يتجمد بيبرس في مكانه فينظر له الدكتور فيتعرف ملامحه علي الفور

فيخاطبه قائلا وعلي ملامحه تفهم ان هذا الشخص (دماغه طاقق)

– ايه يا عم ايبك

يرفع بيبرس يده محييا الدكتور قائلا

– بيبرس يا باشا

ثم يجلس في مكانة هامسا لعادل (شاب في نفس السن وهيئته مميزة فهو يرتدي قميص يغلق جميع ازراره وفوقه جيليه علي بنطال قماشي ذو ثلاث كسرات وجزمة سوداء وعلي عينيه نظارة قعر كوباية) يجلس بجواره هامسا

– علي فكرة ايبك ده خالي

اجيبه أنا في سري قائلا (يا ايبك القاعد) بينما يرد عليه عادل قائلا في همس

– خالي من الكليسترول

لن اصدع رؤسكم بما دار في المحاضرة ولكنها مرت سريعا لم اتثائب فيها اكثر من عشر مرات وهذا انجاز يضاف الي انجازات الدكتور الذي يحاضرنا فأنا شخصية ملولة جدا لم اواظب علي اي شيء في حياتي الا احلام اليقظة. بعد انتهاء المحاضرة خرجنا جميعا الي كافيتيريا الكلية التي تمتلئ بالطلبة من كل السنوات نقترب وندخل من باب الكافيتيريا

أنا واروي تتبعنا ريم وبعدها عادل نقف في حيرة عاجزين عن التصرف نتيجة للزحام الشديد يبدو انها جمعية استهلاكية وليست كافيتيريا يدخل بيبرس ليتقدم نحو المتزاحمين قبل ان يلتفت ليجد المجموع واقفين في عجز فيقترب منهم قائلا في سخرية

– ايه يا رجالة اجيب ليكوا حاجة معايا؟

اجيبه كمن وجد طوق نجاه (ميشلان او حتي عوامة وزة) وسط بحر متلاطم الامواج

– هات لينا معاك اي حاجة نغير بيها ريقنا

يبتسم ويهز رأسه متفهما عجزنا قائلا

– عنيا

يتجه بيبرس محاولا الغوص وسط المتجمعين

– طيب خد فلوس الحاجة

يجيبني بطريقة (هو أنا هاعتقك؟ أنا جدع اه بس التعامل انجليزي)

– لما ابقي اجيب نبقي نتحاسب

نتجه جميعا محاولين ان (نجد شعرة بيضاء في ثور اسود) اقصد ان نجد مائدة فارغة لنجلس اليها بينما يغوص بيبرس وسط الجموع المحتشدة

تشتري الساندوتشات . اجلس أنا واروي وريم ومعتز الي احد الموائد اخرج احد كتب تعليم الشطرنج المتقدمة لأقرأ فيه بنهم فتسألني اروي ساخرة

– أنت شكلك بتحب الشطرنج

امد يدي الي قفاي لا شعوريا وأنا اقول

– بموت فيه وحياتك

– تلعب شطرنج؟

التفت في فزع نحو مصدر الصوت لأجد بيبرس يحمل صينية كبيرة عليها عدد كبير من الساندوتشات وهو ينظر لي مبتسما وهو يقول

– أنت بتلعب شطرنج؟

– ايوه الله يحرقك ولو سمعت منك الكلمة دي تاني هاناولك

– كلمة ايه؟ شطرنج؟

يبدو علي الاستياء واتجاهل بيبرس وعادل وانهمك في قراءة الكتاب بينما يدور بيبرس ليوزع السندوتشات علي اروي وريم ويعطي لمعتز واحد يأخذه ويأكله وهو مازال منهمك في قراءة الكتاب بينما يستأثر بيبرس لنفسه بعدد كبير من السندوتشات يجلس ليأكله في شراهة. تنتهي اروي من ساندوتشها سريعا وتهب واقفة كمن لدغها عقرب

فأترك كتاب الشطرنج وانظر لها في هيام واضح لا تخطئه عين كفيف في منتصف ليل حالك بلا نجوم وأنا اسألها

– ايه هاتروحي علي المدينة؟

– اه عايزة اذاكر اللي خدناه

استكمل وصلة السهوكة وأنا اجيبها قائلا

– ربنا يعينك

نتوجه جميعا نحو باب الكافيتيريا نغادرها بينما قام ليبرس بلف ما تبقي من ساندوتشاته متبرما فقد كان يمني نفسه بوجبة تسفلت ارضية معدته لمدة اربع او خمس ساعات علي الاقل ولكنه لم يتمكن سوي من مسح زوره فقط تتجه اروي منصرفة نحو المدينة وهي تلوح بيديها لنا مودعة فيقترب بيبرس مني قائلا

– تعال اوصلك في طريقي وبالمرة اعرف أنت ساكن فين

تتركنا ريم متجهة نحو موقف الاوتوبيسات قائلة

– أنا هاروح مواصلات بقي باي.

تنصرف ريم بينما اتجه أنا وبيبرس نحو سيارته لنركبها وننطلق.

****

اعود الي شقتي المظلمة الا من بصيص نور خافت ينبعث من الحمام ادخل واغلق باب الشقة ورائي وادخل نحو الصالة وقد تناولت حبة من حبوب الشجاعة المفرطة فاتقدم في تحدي صارخا في فراغ الشقة.

– تلعب شطرنج ج ج ج ج ؟..... حد يلعب شطرنج ج ج ج ج ج ؟

لا يجيبني احد سوي صدي صوتي الذي اظن انه سيظل يتردد في اذني للأبد انظر حولي لدقيقة في شك قبل ان اقرر الدخول لغرفتي لأغير ملابسي بمجرد ان أستدير متوجها نحو الغرفة يدق جرس الباب بألحاح مزعج يجعلني أقفز من مكاني فزعا تكاد شعيرات رأسي تلامس السقف قبل ان اهبط هبوطا اضطراريا و اتجه نحو الباب قائلا في خوف

– مين؟؟؟

– افتح يا ميزو

اجيل النظر في العين السحرية للباب لأجد بيبرس (هو بغباوته بوشه العكر) قبل ان افتح قائلا

– انت؟؟؟.... سيبت ركبي الله يحرقك

اتنحي من امام الباب سامحا لبيبرس بالدخول وهو يحاول ان يشرح لي لماذا اتحفني بهذة الزيارة فأنا متأكد ان نيران شوقه لم تستعر فهو لم يتركني سوي من اقل من ساعة.

– معلش يقي يا ميزو هاتقل عليك وابات عندك النهاردة المفتاح بتاعي اتكسر في القفل والوقت اتأخر مش لاقي حد يصلحه

اقترب من بيبرس لأخذه في حضني وسط نظرات دهشة من بيبرس ولسان حاله يقول (ده عبيط ده ولا ايه؟) وأنا اقول في تأثر

– والله هاتوحشني يابيبرس

ينظر بيبرس لي في تعجب قبل ان يدفعني بطريقة (هي البلاوي دي بتتحدف علينا من انهي داهية) ويتجه نحو حجرة النوم .

****

يدخل بيبرس من باب حجرة نومي ليفتح دولابي وياخذ طقم من اطقم معتز (المعني الحرفي لمصطلح شاب سنتيح) ويلبسه ويتجه للنوم مباشرة واكاد ازعم واقسم اني سمعت شخيره وهو مازال يتحرك نحو السرير بينما ادخل ورائه متعجبا واقفا في وسط الحجرة اضرب كفا بكف قبل ان اسمع صوت صفعة قوية علي اقفيتنا بينما يعلو صوت من منتصف اللامكان من اشجي الاصوات واندي الاصوات واعذب الاصوات يقول

– تلعبوا شطرنج؟؟

يتلفت بيبرس حوله باحثا عن مصدر الصفعة بلا جدوي وهو يقول

– شطرنج ايه يا معتز احنا ما اتفقناش علي كده

انهره في قوة من اعتاد علي مثل هذة المباريات المفاجأة

– اخرس بقي . ايوة نلعب شطرنج وماله هيا الليلة باينة من اولها

مقترنا باخر حروف كلمتي يظهر الشطرنج معلقا في سماء الغرفة ويبدأ معتز باللعب وسط نظرات الرعب والحيرة المتجلية علي بيبرس (اراقب المبارة في استمتاع كأن من كانت تنهال عليه الصفعات ليس قفاي ولكني اقترضته من شخص اخر) بعد عدة خطوات يحرك معتز الوزير بحركة ساذجة اعرفها ورغما عن اني اعرف انها سوف تنطلي علي الشبح ولن يدركها الا بعد فوات الاوان الا اني اضع يدي علي قلبي خشية ان تنكشف (كالمتفرج الذي يصرخ في البطل الا يقع في الحفرة بعد ثالث مرة يشاهد فيها الفيلم متخيلا انه قد ينتبه هذة المرة) في خطة نابوليون الشهيرة ليكشش ملك الشبح ويموته قائلا

– كش ملك ومات

يسود الصمت بعض لحظات قبل ان تنطلق في الخلفية اصوات سمفونية من الصفعات تنهال علي معتز وبيبرس الذين يفرون ناحية باب الشقة ليفتحوها وينزلون ويجرون علي السلالم بينما اتكور حول نفسي مانعا زائدتي الدودية من الانفجار بسبب حالة الضحك المفرط التي تعتريني علي منظرهم ولا اجد لأيقافها أي سبيل .

****

مع اولي اشعاعات شمس النهار أتجه أنا وبيبرس نحو كافيتيريا الجامعة لنحتل احد طاولاتها في يأس وقنوط ضاعفه عدم فهمنا لما يحدث وعّمَق اثره حاجتنا للنوم حاجة مدخن شره لسيجارة بعد يوم صيام طويل وقد تشعث شعرنا وخرجت ملابسنا من اماكنها تعلن اعتراضها التام علي ما يحدث تدخل اروي وريم من باب الكافيتيريا متجهتان نحونا تبادرنا ريم

– مالكوا عاملين زي اللي واخدين علقة عالصبح ليه كده؟

– والنبي نقطينا بسكاتك ها يا عم بيبرس ناوي تروح فين؟

– أنا مش هاقدر احضر محضرات أنا هاطلع علي شقتي انام.

– ومين سمعك خدني معاك عشان أنا مش هاعرف ارجع الشقة في الظروف دي.

يقوم معتز وبيبرس متجهين نحو باب الكافيتيريا ليغادروها دون كلام كالمنومين مغناطيسيا بعيون نصف مفتوحة وسط نظرات تعجب تحيطهم من اروي وريم .

****

هل ترون معي ما اراه في شقة بيبرس شبه المظلمة ام انها مجرد تهيؤات؟ ... اني اري واظن انكم ترون معي بعض الاشباح لهم شكل ضبابي يتحركون في الشقة في مرح ظاهر وهم اسرة مكونة من اب وام وطفل وفتاة وكأنهم يلعبون مع بعضهم بينما تتناهي الي أسماعنا أصواتهم

الخافتة. نسمع صوت مفتاح يدور في القفل فتتجمد الأشباح في مكانها قبل ان تتجه للحوائط مسرعة لتختفي بداخلها ينفتح الباب ويدخل منه بيبرس ومعتز غير عالمين بشيء يتجه بيبرس نحو المطبخ بينما يقول لمعتز

– خش أنت نام في الأوضة وأنا هاقعد اتفرج شوية علي التليفزيون لغاية لما انام.

يتجه معتز نحو الحجرة لينام بينما يتجه بيبرس نحو المطبخ واثناء مروره في الطرقة المؤدية للمطبخ يمر شبح مسرعا من خلفه فيلتفت له بيبرس في سرعة فلا يجد شيء فيهز رأسه هزة (مش ناقصة مزاولة والنبي) يفتح بيبرس باب الثلاجة الموجودة بالمطبخ ليشرب دون ان يفتح النور فتتكرر نفس الحركة من خلفه فيلتفت ولا يجد شيئا ينفض كتفيه في لا مبالاة ويهرش قفاه في كسل جعل حواسه بليده ونفض رأسه مما جعل أي افكار تتطاير منها كحبات مياه في اعلان شامبو ويواصل شربه قبل ان يتجه للصالة ويفتح التلفزيون ويتفرج عليه يقع بيبرس في النوم دون ارادة منه ولكنه يستيقظ فزعا علي صوت باب الحمام وهو ينغلق في شدة فيقوم ليتحقق من الحمام فلا يجد به احدا فيعود لجلسته وقد تيقظ واستحال عليه النوم يظل علي جلسته فترة طويلة قبل ان يقع في النوم تاركا التليفزيون يعمل نري مجموعة الاشباح تعود للظهور مرة اخري وهي تتحرك حوله يظل احد الاشباح يقلب قنوات التلفزيون حتي يستقر علي فيلم عربي قديم فيتركه وتجلس الاشباح علي كنبة الانتريه بجوار بيبرس وهم يتابعون الفيلم في تأثر واضح دون ان يبدو

علي بيبرس اي احساس بوجودهم.

****

في هذا التوقيت كانت كثير من الافكار تعصف بي كسيل من الالكترونات يجلد بلا هوادة شاشة انبوبة كاثود مسكينة . . لماذا اتعرض لمثل هذة المواقف ولماذا لا يري غيري ما اراه لذلك كنت امشي وحيدا في شارع ممتليء بالمارة امارس هوايتي في قراءة لافتات العمارات التي اجد فيها تسليتي الوحيدة بعيدا عن تراب الشوارع واصوات السيارات والكلاكسات قبل ان ارفع عيني إلي لافتة من اللافتات الموجودة علي عمارة كبيرة. أري مكتوبا عليها (دكتور رضا الديب طبيب نفسي) تنير هذة اللافتة في رأسي مصباحا قبل ان ينقطع عنه الكهرباء ادلف سريعا نحو باب العمارة لأغيب داخله

دعني اعفيكم من تفاصيل دخولي العيادة وتلك الغصة التي اعترتني وكأني ابلع حجرا حين سمعت قيمة الكشف ولكني قررت ان اتمادي في التجربة للنهاية حتي لو أدي لأن اكل طوب بقية الشهر او ان اعيش حياة (السنتحة والسفلقة) بقية الشهر لحين وصول الامدادات من البلد كيلا اطيل عليكم دخلت حجرة كشف انيقة بها مكتب بجواره كرسي و شيزلونج ومكتبة ممتلئة بعدد من المراجع بينما ارقد علي الشيزلوج ويجلس بجواري الطبيب بعد ان انتهيت من حكايتي لكل ما مر بي من احداث اختتمتها بجملتي

– هو ده كل اللي حصل لي يا دكتور أنا لازم افهم ايه اللي بيحصل لي ده وسببه ايه؟

– بص يا معتز أنت دلوقت في فترة مراهقة وأنت بطبعك حساس وكمان نتيجة الصدمة اللي حصلتلك بقيت حساس زيادة عن اللزوم بس كل اللي بتشوفه ده هلاوس سمعية وبصرية. الطب النفسي لا يعترف بوجود الاشباح او الجن وده مع الوقت المفروض انه ينتهي

هززت رأسي في عدم اقتناع وأنا اضرب نفسي بكل جنيه دفعته صفعة او ركلة استحقها عن جدارة مقابل جلسة الفضفضة التي لم استفد منها شيئا وغادرت العيادة وافكاري تتقافز داخل فصي مخي ككور بينج بونج لا يمكن السيطرة عليها قبل ان ينتزعني من فكاري صوت يصدح من البعد قائلا (مفيش صاحيب بيتصاحيب مفيش راجيل بقي راجيل) لأكتشف انها رنة تليفوني فأفتحه لأجيب قائلا

– ايه يا معلم ؟

– فينك يا شبح من الصبح محدش شافك

– كنت في مشوار كده انتوا فين أنا جاي عليكوا

– احنا في المسرح في وسط البلد تعال نشوف هانعمل ايه الليلة دي.

****

ادخل المسرح وهو عبارة عن جراج كبير به في المقدمة بعض الألواح الخشبية المرتبة بطريقة بدائية لتعمل كمسرح بينما يقف عليه بعض الممثلين وبقية الجراج به عدد من الكراسي مرتبة في صفوف للمشاهدين يجلس عليها عادل مخرج العمل وبعض المشاركين فيه يبدو علي الممثل الواقف علي المسرح غضبا شديدا وهو يقول

– أنت كده خنتني وتمن الخيانة الموت.

– استني افهم اللي حصل.

يخرج الممثل من جيبه سكينا ويلقيه نحو الممثل الوقف أمامه في عنف فتخترق السكين رأسه ناثرا الدم علي وجه عادل الذي تبدو عليه المفاجأة بينما تعلو بعض الصرخات المذعورة من الجمع الذي يشاهد ما يحدث تصرخ ممثلة واقفة علي خشبة المسرح في ذعر قبل أن تنهار فاقدة للوعي علي الأرض يصيح عادل قائلا في حماسة.

– حلو قوي يا جماعة .. احنا كده فركش النهارده وبكرة هانتدرب علي رقصات المسرحية وياريت يا جماعة الكل يلتزم بالمواعيد

يقوم جميع الموجودين في المكان للانصراف بينما يتجمع المخرج وبيبرس ومعتز واروي وريم الذين يخرجون من الكواليس ليقفوا في دائرة ليتحدثون يبادرنا عادل قائلا

– ايه يا رجالة النظام النهاردة

– هانطلع علي شقة بيبرس نتغدي وننزل نشوف هانروح فين.

– أنا معايا تذاكر حفلة منير الجديدة .

– قشطة عليك يابرنس هو ده التظبيط العالي.

يبدأ الجميع في مغادرة المسرح بينما اقترب من عادل قائلا له بصوت هامس بطريقة (مش عارف اودي وشي منك فين؟)

– معلش يا بيبو أنا متقل عليك اليومين دول علي بال ما الاقي شقة

– بطل كلام عبيط أنا وأنت واحد يا اسطي يلا عالشقة.

****

انتهينا من حفلة منير وتوجهنا جميعا (بربطة المعلم) لشقة بيبرس لنبات ليلتنا فيها بعد ان تأخر الوقت بنا وصار عسيرا علي عادل ان يبيت في شقته لبعدها وقلة مواصلتها في مثل هذا الوقت يدخل بيبرس صالة الشقة أتبعه أنا وعادل لنجلس لمشاهدة التلفزيون قليلا بينما يتحرك شكل ضبابي خلف عادل فألتفت مسرعا وأنا اتسائل في رعب شاعرا بأحساس (ارحم امي العيانة) قائلا

– أنت شفت اللي أنا شفته؟

يجيبني بيبرس في لا مبالة

– شفت ايه؟

اجيبه في ارتياع

– حسيت ان في حاجة بتتحرك ورايا

يجيبني عادل في ثقة الجاهل

– أنت اكيد بتشتغل نفسك

– يا عم أنا متأكد والله

يفصلني بيبرس مشيرا للتليفزيون

– ماشي ماشي بس ركز مع الحتة دي الحتة دي جامدة

ابتلع لساني مضطرا علي مضض وأنا اغمغم

– ماشي ربنا يستر.

يبادرنا بيبرس قائلا

– حد يقوم يعمل لنا شاي.

يحاول عادل اسكاته بالمنطق قائلا

– قوم أنت احنا ضيوفك.

فيجيبه بيبرس بلهجة المتمرس علي سكني شقق الطلبة والعزاب

– أنا هاحط المية وواحد يلقم الكوبيات وواحد يقوم يصب

اجيبه محاولا ان اتخلص منه كحشرة مزعجة وقعت في كوب مشروبي الخاص

– ماشي يا عم اخلص خلينا نتفرج

يقوم بيبرس متجها للمطبخ بعد دقيقة يعلو صوته مناديا علينا وصوته تعلوه الدهشة

– ولا أنت وهو تعالوا كده

نتجه جميعا نحو المطبخ في تعجب وأنا اجيبه ساخطا

– ايه يا عم عايز ايه؟

نري بيبرس يقف امام احد درف المطبخ يفتحها وينظر داخلها في تعجب بينما ادخل عليه أنا وعادل لنسأله في دهشة بطريقة (الواد ده جري لعقله ايه؟ ما كان كويس من دقيقة)

– ايه يا عم في ايه؟

مشيرا داخل الدرفة

– شفت الباب الصغير ده؟

ينظر عادل نحو الدرفة ويجيبه في تذاكي واضح

– دي شكلها خزنة دي ولا ايه؟

لا اتمالك نفسي ان اتفلحس أنا الاخر وياليتني لم افعل

– طيب جرب تفتحها كده؟

يمد بيبرس يده نحونا كجراح يطلب من ممرضته ان تناوله الادوات قائلا

– حد يناولني سكينة

يلتقط عادل سكينة ويناولها لبيبرس الذي يحاول أن يفتح بها الباب ونحن متجمعين حول الباب كأطفال متجمعين حول بائع غزل البنات. بعد عدة محاولات يفلح في فتح الباب فيجد صندوقا فضيا قديما داخل تجويف موجود في الحائط خلف الباب يخرج بيبرس الصندوق في حرص كطبيب يستخرج طفلا وليدا من رحم امه ونتجمع حوله ناظرين نحو الصندوق في وجل من يتوقع ان ينفجر في وجوهنا في أي لحظة

يقترح عادل اقتراحا لوذعيا اعلم انه سيقودنا للهلاك

– ما تفتحه نشوف فيه ايه؟

فأصرخ عالما بما سوف يحدث او قل هو حدس داخلي (من باب اللي اتلسع من الكفتة ينفخ في سلطة الطحينة)

– لا لا استني هو احنا عارفين فيه ايه؟

يفحمني بيبرس بمنطق لا يقوي عليه ارسطو بذات نفسه

– ما احنا لو عارفين ماكناش فتحناه

بينما يحاول بيبرس ان يفتح الصندوق بهدوء وهو يعض شفتيه محاولا السيطرة علي اعصابة وغشوميته فلا يفلح يحاول ان يفتحه بالسكينة ولكنه لا يفلح ايضا

فيجيبنا مبررا انه (مش عايز يتعافي عليه)

– مش راضي يتفتح وأنا مش عايز ابوظ الصندوق شكله اثري

يتفتق ذهني عن فكرة عبقرية لا ادري عثرت عليها في أي مصرف صحي

– ماتبص كده في الفتحة تشوف يمكن تلاقي مفتاح

يعود بيبرس ليفتح الباب الصغير ويبحث بيده فيجد مفتاحا صغيرا يسحبه في لهفة ويحاول ان يفتح به الصندوق ينفتح الصندوق واكاد اسمع طبول السيرك تدوي في الخلفية يرفع بيبرس باب الصندوق فيجد بالصندوق خاتما فضيا رجاليا يبدو عليه ملامح القدم والصدأ

يختطف عادل الخاتم من بيبرس ويتأمله في اعجاب واضح وكأنه يتلقي بروبوزال (عرض خطوبة) قائلا

– الله شكله تحفة الخاتم ده ورينى كده

اراقب أنا ما يحدث من الثلاثة من بعيد وأنا اعلم ما سوف يحدث لأفاجأ بخروج زوج من الاشباح ذكر وانثي من الحوائط يلتفان حول المجموعة ولسان حالي يقول (حوش عبيدك عن عبيدك يارب) ليصرخ الرجل في اذن عادل في جزع

– سيبوا الخاتم ده ورجعوه مكانه

يبدو ان عادل لا يسمعه اصلا قبل ان اختطف الخاتم قائلا بطريقة (الضريبة) الشهيرة

– أنا عايز اشوفه أنا كمان الفرجة مناولة مش مقاولة

يلتقط معتز الخاتم ليجربه بطريقة تلقائية في احد اصابعه فيكتشف انه مناسب له تماما بينما ابتسم في ظفر من اكتشف فجأة ان ذاكرته لم تخنه في اقل التفاصيل وأنا اقول لمعتز النسخة الاصغر مني (البس يا معلم) . . . الخاتم محدش يفهمني غلط

– ايه ده دا علي مقاسي بالظبط

ينظر معتز للخاتم في يده متفحصا فيكتشف وجود خزانة صغيرة به يحاول فتحها بينما يقترب منه كبير الاشباح ليصرخ في اذنه قائلا في جزع

– بلاش يا معتز هاتودي نفسك في داهية بلاش يا معتز

فتجيبه الشبح الانثي الاخري كاذبة وهي تعلم في قرارة عفريتها انها تكذب بأسلوب المطيباتية الشهير

– ماتسيبه اكيد الواد دنجل اتغير حاله وعقل

يجيبها الشبح الاول محتدا بطريقة (ان كنتي نسيتي اللي جرا هاتي الدفاتر تنقرا) قائلا

– ياستي لسة عليه بدري لما يطلع من فترة المراهقة قدامه ولا خمسين سنة علي الاقل ..... ماتسمعش كلامها يا معتز اشتري مني

يتوصل معتز لزر خفي في الخاتم يضغطه فتنفتح الخزنة بمجرد ان يفتح معتز خزنة الخاتم تنقطع الكهرباء فيسود ظلام دامس يشهق معتز شهقة ذعر فيقول عادل

– إيه يا عم الرعب اللي أنت فيه ده النور قطع ... عادي يعني

بينما يخرج بيبرس من جيبه علبة ثقاب ويخرج عودا يشعله ويبحث عن شمعة يجدها ويشعلها تعود الإضاءة الخافتة للمطبخ بينما تتراقص الظلال بصورة مرعبة علي كل شيء يخرج بيبرس واصدقائه من المطبخ متجهين للصالة بينما يقول الشبح لزوجته في سخط زوج مصري اصيل علي زوجته لا يمنعه من طلاقها سوي خوفه من الساطور والاكياس البلاستيكية السوداء

– اهو خرج يا ستي اما نشوف ايه اللي هايحصل شكلك نسيتي اللي

كان ابنك بيعمله .

يخرج بيبرس حاملا الشمعة وسط الاضاءة الخافتة يتبعه اصدقائه متجهين نحو الصالة ليجلسوا علي الانتريه يضع بيبرس الشمعة علي ترابيزة الانتريه وفجأة ينغلق باب الحمام في شدة مصدرا دويا عاليا فيتجمد علي اثره الاصدقاء في اماكنهم في رعب بينما يتراقص لهب الشمعة اثر تحرك الهواء صابغا الجو العام بالشكل المعتاد لأفلام الرعب الامريكية فأرتكن بظهري لأحد الحوائط اشاهد ماسوف يحدث بشغف (فأنتم تعلمون ولعي بأفلام الرعب) ناسيا او متناسيا كوني اشاهد نفسي وان ما حدث مررت به سابقا يحاول بيبرس ان يهون علي اصدقائه ما يحدث ولكن يخرج صوته مرتجفا كدودة موضوعة في شص سنارة

– عادي يا جماعة تلاقيه تيار هوا ولا حاجة هدوا اعصابكوا

تبدأ الشمعة في التحرك ببطء علي الترابيزة قبل أن يطير احد الكتب من المكتبة الموجودة خلف التلفزيون ليصطدم بالحائط المقابل ويقع علي الأرض يبدو الرعب جليا علي ملامح الأصدقاء وهو يقتربون من بعضهم البعض تلمسا للأمان

بينما يحاول معتز اكتر من اختبر مثل هذة الامور ان يحافظ علي هدؤه ليتمكن من التفكير بمنطقية

– ايه ده هو في ايه الامور كانت هادية ايه اللي قلب الامور فجأة كده؟

فجأة تطير منفضة السجائر من علي ترابيزة الانتريه في عنف نحوهم فيتفادوها فتصطدم بالحائط وتتحطم في دوي هائل وتتناثر علي الارض شظاياها في الف قطعة

بينما يستفسر بيبرس في بلاهة واضحة قائلا

– ايه ده احنا فينا من الضرب؟

يقوم الاصدقاء بالجري في اتجاهات متعددة. فتبدأ كل الاثاثات غير الثابته في الطيران حولهم ونحوهم بقصد اصابتهم وهم يجرون منها في ذعر وخوف ويحاولون تفاديها في مشهد جدير بأن يوضع كماستر سين لأحد افلام هاري بوتر (لا ينقصه سوى ذاك الشخص عديم الانف الذي لا ينطق اسمه). يصيب احد الكتب الطائرة رأس عادل في اصابة مباشرة فيقع علي الارض. يساعده صديقاه علي النهوض ويجرون في اثناء جري بيبرس علي غير هدي في ذعر في الصالة كمن يطارده الف خفاش ينفتح فجأة باب البوفيه فيتعثر فيه ويقع علي الأرض. يجري عادل نحوه ولكنه قبل أن يصل إليه يرتفع طرف سجادة فيتعثر فيه ويقع هو الاخر. يشاهد معتز الوضع فيقف متجمدا للحظات قبل أن يمشي في حذر متجها نحو بيبرس ليساعده علي الوقوف. ولكن يطير كتاب من الارض ليضربه في رأسه ضربة قوية تخل بتوازنه فيقع علي الارض هو الاخر. بمجرد أن يلمس جسده الارض تبدأ ظلال سوداء في التشكل بأشكال بشعة مقززة وهي تتحرك علي الارض نحوهم محاولة

أن تصل لهم. يشعر الثلاثة بالرعب وينهضون في سرعة وهم ينظرون نحو الظلال في رعب قبل أن يتحرك كلا منهم في ذعر محاولا الوصول الي باب الشقة بينما تستمر الاشياء الطائرة في مهاجمتهم. ينجح معتز في الوصول لباب الشقة ويحاول فتحه ولكن الباب لا ينفتح يلاحظ معتز أن الخاتم يصدر ضوءا اخضر خافتا. تطير فازة لتصطدم برأس معتز فتجرحه وينزف منه الدم بغزارة بينما يمسك معتز برأسه في الم. يطير احد الاطباق من النيش الموجود بالصالة ليضرب عادل في انفه مباشرة فيسيل الدم منه في غزارة وهو يمسك انفه محاولا إيقاف النزيف. يحاول بيبرس الجري ولكن يطير احد الكتب نحوه ولكنه يتفاداه ويقبع مذعورا خلف احد كراسي الأنتريه. يثبت الكل في مكانه وهو يحتمي بشيء ما يصيح معتز قائلا

– ايه سبب المصيبة السودة اللي احنا فيها دي كل واحد يشغل الكموخة اللي فوق كتافه دي ويفكر ازاى هانطلع من الورطة السودة دي

تتحرك الظلال متجهة نحوهم في بطء بينما يتعالي صوت عويل مزعج يضغط بيبرس علي اذنيه في قوة محاولا ان يمنع هذا الصوت من التغلل داخل تلافيف مخه صارخا

– الصوت ده شالل تفكيري مش عارف افكر في أي حاجة

يصرخ فيهم معتز (سبب ورطتهم الاول) في تذاكي قائلا بطريقة (كانت تايهة عن مخي فين الفكرة دي؟)

– بقول لكوا ايه أنا لاحظت اني لما حاولت اخرج من الشقة في نور اخضر طلع من الخاتم ايه رأيكوا يكون الخاتم هو السبب في المشكلة دي؟

يجيبه عادل في حنق بالغ قائلا

– ودي عايزة تفكير يا عبقرينو اقلعه يا عم قبل مانروح في داهية.

يجيبه معتز النسخة الاحمق والاصغر سنا مني وهو يحاول جاهدا نزع الخاتم .

– حاضر ياعم أنا بحاول اهه بس مش عارف لازق كده ليه.

بمجرد محاولة معتز لنزع الخاتم من اصبعه تثور ثائرة الظلال وتتحرك في سرعة بينما تتطاير قطع الأثاث في عنف اكثر من ذي قبل. ينجح معتز في نزع الخاتم من اصبعه بعد جهد جهيد (حلوة جهد جهيد دي ... بذمتك ماعجبتكش؟) فتتجمد الظلال في مكانها قبل أن تنسحب لتختفي بينما تثبت قطع الاثاث في الهواء لتسقط علي الارض محدثة دويا هائلا يسود علي اثره السكون التام يخرج كل واحد منهم رأسه من مكمنه (كأرنب بري يستكشف محيطه قبل ان يغادر جحره) ليستطلع الجو فيجدون أن الوضع هادئا فيخرج كل واحد من مكمنه ويمشي في حذر وسط حطام الاثاث المرمي علي الارض. يتجه بيبرس نحو باب الشقة يحاول فتحه فينفتح معه يسارع الجميع بالخروج من باب الشقة في ذعر وكأن شياطين الجحيم تطاردهم بعد ان يرمي معتز

الخاتم علي ارضية الصالة اشاهد الشبح يقترب ليمسك الخاتم مناديا علي زوجته في ضجر قائلا :

– اتصلي بقي بأخواتك يجوا يساعدونا نمسك الواد ده ونحبسه بدل ما يفرج علينا الناس زي المرة اللي فاتت

تجيبه زوجته في خنوع قائلة :

– حاضر يا اخويا .. اقراله الفاتحة ربنا يهديه

يصرخ الرجل قائلا

– اسكتي بقي يا ولية هاتحرقينا واحنا واقفين

اتركهم وانصرف مسرعا لألحق بنسختي الساذجة لأتابع ما يحدث واتذكره معكم لأجد معتز وعادل وبيبرس ينزلون درجات السلم قفزا في رعب واضح بينما يحاول كلا من عادل وبيبرس الامساك بمعتز لضربه كمن امسك (حرامي جزم داخل احد المساجد) بينما يصيح عادل

– اقفش الواد ده هو السبب في كل اللي احنا فيه ده

ينجح بيبرس في الامساك بمعتز

– انبسطت يا عم شفت لبس الخاتم ودانا لفين؟ أنا هاوريك بقي اللي عمرك ما شفته

ينهال عادل وبيبرس علي معتز ضربا فيستكين معتز في ايديهم في احدي تقنيات الدفاع الشهيرة قائلا

– أنا استاهل كل ده واكتر

حتي تتراخي قبضة ممسكيه قليلا فينجح معتز في التملص منهما ويجري نحو باب العمارة محاولا الخروج قائلا

– بس نخلع من هنا الاول وبعد كده اعملوا اللي انتوا عايزينه

اضحك علي ما اراه شاعرا بنوع من التخفيف الكوميدي وأنا اقول (اه ياولاد الفقرية)

يخرج المجموع الي شوارع القاهرة الهادئة نتيجة تاخر الوقت يمشون جنبا الي جنب وأنا معهم استطيع ان اقرأ افكارهم من رؤسهم الشفافة قبل ان يكسر حاجز الصمت معتز قائلا

– والحل ايه بقي يا جماعة هانبات فين؟

يجيبهم عادل في بساطة هذا السن من الشباب وهذا الظرف التاريخي حيث كلهم طلبة مغتربين يسكنون بمفردهم

– بقول لكوا ايه؟ زمايلي في السكن مسافرين اسبوعين تعالوا باتوا عندي شوية كل علي بال ماتشوف هانعمل ايه؟؟

يتسائل بيبرس تسائلا مشروعا في مثل هذة اللحظات الحرجة قائلا

– اوعي تطلع زي اللي فاتوا ...

– والله أنا قاعد فيها من زمان محصلش حاجة

– ما أنا كنت زيك كده بس من اول ما .....

يلتفت نحوه معتز في صرامة فيقطع بيبرس جملته دون ان يكملها فيتجاهله معتز بينما تصل الاجابة كاملة غير منقوصة لعادل الذي يهز رأسه بطريقة (ربنا يستر) ويكملون سيرهم.

****

نذهب لشقة عادل وهي شقة في عمارة تعتبر مثال فج لعلب الكبريت .. مكعب مكون من عدد من الجرائم تم ارتكابها في حق الذوق العام والجماليات كافة , اصطلح الناس علي تسميتها (مساكن او بلوكات) والشقة شقة عزابي بأمتياز تم شرائها وتأثيثها خصيصا لهذا الغرض لا تفرق كثيرا عن شقق المصايف .. فهي لا تحتوي الا علي الاثاث اللازم للمعيشة دون أي قطرة زائدة من رفاهيات . يمر بنا اول ثلاث ايام سراعا دون ان يحدث في الشقة أي شيء يستحق ان يذكر او أي شيء خارج عن المألوف كانت الحياة عبارة عن نوم واكل وجامعة وبحث عن شقة لنا ولكن ..... (طبعا كلنا عارفين ان البلاوي والمصايب كلها بتيجي بعد كلمة لكن دي لدرجة اني ابتديت اتشائم منها) في احد الليالي بعد ان استبد ببيبرس ومعتز تعب البحث عن سكن حيث من المستحيل ان

تجد شقة فارغة في مثل هذا التوقيت الا نادرا يدخل معتز حجرته ويخلع ملابسه ويكتفي بشورت وفانلة حمالات ويتجه نحو سريره ليستلقي عليه بعد ان يطفئ نور الحجرة يستقر معتز في مكانه للحظات قبل ان يتنبه علي شئ ما لا يدركه يعتدل ينظر في انحاء الغرفة فلا يجد شيئا يعاود معتز النوم في سريره علي جنبه يتقلب معتز فجأة فيكتشف وجود شخص ما يجلس متربعا علي سريره ينظر نحوه معتز في رعب ويعتدل فلا يجده.

– اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هو في ايه هو أنا تقلت في العشا ولا ده تهييس التعب ولا ايه؟

يعاود معتز النوم وهو خائف يرتفع طرف ملائة السرير من علي معتز فيلتفت ليجد الملائة مرفوعة دون ان يمسك بطرفها احد يصرخ معتز في خوف

– يا لهوي الحقوني

يتهاوي طرف الملاءة بينما يندفع بيبرس وعادل من باب الغرفة في اهتمام وفضول ممزوج بخوف ظاهرين فيبادر بيبرس بسؤاله

– في ايه يابني حصل ايه؟

يجيبه معتز في صوت اشبه بالفحيح كمن يخشي ان يجرح مشاعر الشبح

– في حد معايا في الاوضة

يذهب عادل ليفتح النور في تلقائية ويلتفت لينظر في انحاء الغرفة وهو يتوقع عودة احد رفقاء السكن علي حين فجأة او أي شيء من هذا القبيل قبل ان يجيب بعبارات غاضبة ممزوجة بأصوات خيشومية والفاظ اعتراضية لا يتسع المجال لذكرها هنا (علشان الحكاية دي طاهرة وهاتفضل طول عمرها طاهرة) قائلا

– حد مين؟ الاوضة فاضية اهه ولا مش عايزين اشتغالات

اجيبه في حسم من يعرف جيدا ما رأاه

– والله زي ما بقولكوا كده أنا كنت نايم علي السرير لقيته جنبي

يجيبني بيبرس في سماجته المعتادة وعلي وجهه ابتسامة في لون المسطردة وقد تحولت في هذة اللحظة في نظرهم الي مهرج بأنفه الاحمر ومساحيقه والوانه وانتهزا الفرصة لأقامة حفلة علي شرف كرامتي المهدرة

– كويس علشان يدفيك الجو برد

– أنت بتتريق؟؟ يلا ياد غور من هنا مش عايز حاجة من وشك

يلتقط عادل طرف الخيط قائلا

– ماشي يا عم بس عايز انصحك نصيحة

يجيبه معتز عالما بما سوف يحدث له

– قول يا عم الحلو أنت راخر

– حاول تغير الصنف شكله تقيل عليك

يرفع معتز المخدة ليقذفها نحو عادل الذي يجري مغادرا الحجرة بينما يقول معتز متوعدا محاولا الثأر لكرامته

– ماشي يا عم والله لوريكم

يعاود معتز النوم في سريره وهو يتلفت حوله في خوف وقد جافاه النوم تمر اللحظات بطيئة مملة عليه ولكن لا يحدث شيء ولكن معتز يودع النوم وداعا نهائيا في تلك الليلة ويظل علي هذة الحالة حتي الصباح الباكر (مش قصدي اسم المرهم هو التعبير بيجي علي بعضه كده) يغفو معتز قليلا قبل ان ينتبه فجأة كما سقط في النوم فجأة يخرج معتز من حجرته واثار النوم المضطرب بادية علي ملامحه وهو يتجه نحو الحمام ليغسل وجهه يقترب منه بيبرس وهو يرتدي ملابس الخروج متأهبا للنزول

يحاول بيبرس استكمال حفلة الامس فيلتقط الميكروفون قائلا

– ايه يا معلم اخبار عفاريتك ايه؟

اجيبه وأنا في مزاج غير مناسب بالمرة للمزاح او تحمل السخرية

– بس يا عم الأمور اصطبح وقول يا صبح

فيستطرد محاولا تغيير دفة الحديث

– ها هاتنزل الجامعة النهاردة ؟

اجيبه وأنا اشعر بورشة سمكري سيارات واخري للنجارة داخل رأسي

– ماليش مزاج انزل النهاردة

يستجيب بيبرس لنداءات شياطينه ويستكمل (تحفيله) علي قائلا في لزاجة شربات مركز

– طيب خد بالك أنا سايب عفريتين في التلاجة متجيش ناحيتهم

اضحك ضحكة في صفار فانلة الاسماعيلي وأنا امنع نفسي من صفعه صفعة ترجعه جنينا في بطن امه وأنا اقول

– هي هي هي دمك خفيف يا مضروب هو عادل فين؟

– نزل من زمان يابني أنت اللي ناموسيتك بني

ادفعه دفعا نحو الباب لأتخلص منه كمن يحاول ان يتخلص من بقعة طازجة علي طرف سرواله

– خلاص يا عم حصله وماتكلش دماغي

– ماشي يا حلو سلام

ينزل بيبرس السلالم قفزا بطريقته المميزة بينما اغلق الباب خلفه واتجه نحو الحمام لأغسل وجهي اراني وأنا انحني نحو الحوض وافتح الحنفية لأغترف منها واغسل وجهي بينما اكتشف وجود شخص يقف بجواري لا ادرك وجوده التقط الفوطة وامسح بها وجهي واغادر الحمام يتبعني الشبح القي الفوطة علي كنبة الانتريه في عدم اكتراث واتجه نحو التلاجة لافتحها واخرج عدد من الاطباق ممتلئة باصناف كثيرة وأنا اشعر بشعور (المكنسة الكهربائية) من شدة الجوع واعتقد اني لو صادفني قطعة كاوتشوك لألتهمتها دون ادني تردد اتجه نحو باب المطبخ فاجد نفسي في مقابلة الشبح انظر للشبح في رعب قبل ان القي الاطباق من يدي وأنا اصرخ في رعب

– أنت مين وعايز مني ايه؟

يجيبني الشبح في هدوء قاتل قائلا

– أنت اللي عايز مش أنا

افكر في نفسي هل هذا عفريت مصباح علاء الدين ام ماذا

– أنا اللي عايز ماشي طيب أنا ليا كام امنية؟

يجيبني الشبح في حنق (لو كانت الاشباح تشعر بالحنق) كمن اهين قائلا في ثورة

– أنت مجنون هو أنت فاكرني عفريت هفأ من بتوع مصباح علاء الدين

وكده أنا هنا في مهمة محددة

اتردد مفكرا في توتر

– هما باعتينلي شبح شغال في المخابرات ولا ايه؟

يكمل الشبح كلامه في زهق كمن يقول (أنا هاحط ايدك عالبلف وارسيك عالتيتة) قائلا :

– بص يا عم باختصار كده أنا كنت القرين بتاع صاحب الشقة الله يرحمه

انتهز الفرصة (لأقلش قلشة رخيصة) عليه لأتخلص من بعض توتري

– الف رحمة ونور تنزل عليه تعال نقراله الفاتحة

يتعصب الشبح وهو يجيب بطريقة من يقول (اهمد بقي بدل ما اسخطك مكانك)

– أنت هاتستهبل سيبني اكمل للأخر

احني رأسي صاغرا وأنا اقول بطريقة (ارغي يا عم الامور)

– قول يا عم

ينحني الشبح نحوي مقتربا قائلا بفحيح يوحي بخطورة ما سيقوله

– أنا من ساعة ما الراجل ده توفي مش عارف ارجع بلدي علشان أنا

اعرف عنه سر خطير ولازم اقوله

تراودني بعض الافكار الخبيثة وأنا اتسائل بصوت مسموع في لهفة

– سر ايه؟؟ قول

– المرحوم كان سايب فلوس في مكان امين

اشعر ان هذا الشبح هو شبح اشتغالة رسائل التليفون الشهيرة فاتسائل ساخرا .

– امين ولد الطحاوي ولا امين ولد ابو جليل؟

يعلو صوت مفتاح يدور في القفل قبل ان يدخل عادل من الباب التفت نحوه

– عادل مش هاتصدق

التفت نحو الشبح فلا اجده فأعجز عن مواصلة كلامي (ماهو أنا صحيح هاقول له ايه؟) فيكتمني عادل برده كتمة رصاصة تخرج سعيدة من ماسورة مسدس لتكتشف وجود كاتم صوت علي فوهته

– والنبي سيبني أنا راجع من الجامعة بدري علشان عندي صداع هايفرتك دماغي

يتركني عادل ويتجه نحو المطبخ لعمل قليلا من القهوة ذاك المشروب

السحري الذي يعالج كل ما يتعلق بمشاكل الدماغ اتبعه واحاول ان اشرح له واحكي عما حدث وبعد انتهائي من حكايتي اقسمت له بأغلظ الايمان ان ما حدث حقيقيا.

– والله يا بني زي ما بقلك كده

يجيبني في نفاذ صبر ساهم فيه الصداع بجزء كبير وساهم خوف عادل ان تكون شقته مثل بقية الشقق السابقة في الباقي من نفاذ صبره.

– بقولك ايه ماتصدعنيش اكتر ما أنا مصدع بلا عفاريت بلا كنز بلا كلام فارغ.

ابحث عن أي حجة مقنعة احاول ان اقنعه بها ولكن تموت الافكار داخل عقلي وبالتالي تنتحر الكلمات قفزا من فوق شفتي فأصمت عاجزا عن الرد في منتصف الجملة.

– ياد والله .....

يدرك عادل هذا فيحاول تشتيت ذهني اكثر (لأحل عن نافوخه) فيقول لي بطريقة (بص العصفورة)

– بقولك ايه بدل ما أنت واقف كده روح شفلك شغلانة اعملها يلا.

لا اجد بدا من الانصراف تاركا عادل يكمل قهوته في المطبخ واتجه لغرفتي الفارغة لأدخلها وأنا مصاب بخيبة امل متجها نحو مكتبي لأجلس عليه

ولكني التفت فأجد الشبح جالسا مربعا قدميه علي سريري يبادرني الشبح في لهفة من يقف اولا في طابور الخبز.

– ها قلتلهم؟

اجيبه في فزع سببه ظهوره المفاجئ لي كتوكتك خرج توا من احد المنعطفات.

– اولا أنت تبطل تطلعلي كده أنا كده هاقطع الخلف ثانيا أنت مشيت ليه لما هو جه؟

– أنا ماينفعش اطلع غير ليك أنت وبس

– طيب ممكن افهم ليه؟

– أنت عليك علامة من حاجة حصلت لك قبل كده بتخليك تظهر لنا ونظهرلك.

ابحث في ملامحي عن تلك (البشلة العفاريتي) التي تزين ملامحي ام انها هوائي خوارقي عملاق يستقبل ارسالات من عوالم اخري وأنا اقول.

– طيب سيبني احاول معاهم تاني ... وبعدين قول لي الكنز ده فين؟

– هاتلاقي تعليماتي موجودة في اماكن معينة تمشي عليها بالحرف الواحد علشان ادلك علي الكنز.

اجلس الي كنبة الانتريه في وسط الصالة اشاهد احد الافلام بنصف عقل وبنصفه الاخر يمر احداث اليوم كموسيقي خلفية لا تدرك وجودها الا عندما تتوقف يدخل بيبرس من باب الشقة ويلقي تحية المساء.

– مساء الورد يا معلم وساكت ليه ماتتكلم.

اجيبه في تجهم من تدور الافكار في (خلاط دماغه) بسرعة فائقة

– مساء النور بيبرس خد عايزك في حاجة.

– اشتاتا شلتوت قصدي خير الله اما اجعله خير.

واضح طبعا خفة دم بيبرس لدرجة العدم . . اشرح له الموضوع في كلمات موجزة وما ان انتهي من كلماتي حتي يبرز عادل من احد الحجرات فأشعر بشعور عم ايوب (انتوا كلكوا عليا ولا ايه؟)

يلتفت بيبرس نحو عادل متسائلا وعلي وجهه نظرة (أنت مصدق الهبل ده؟)

– هو صحيح موضوع الكنز ده؟

يجيبه عادل بتبرير لوذعي.

– يا عم ماتصدقش كل حاجة يقولهالك معتز الواد ده أنا ابتديت اشك في قواه العقلية.

يجيبني بيبرس

– بص يا معتز أنا مستعد اوديك لأحسن دكاترة

– دكاترة ايه أنا مش مجنون

– يا بني الحداية ما بتحدفش كتاكيت احنا مش في زمن المعجزات سيبك من الكلام الفارغ اللي القصص ملت دماغك بيه

اقوم من مكاني غاضبا

– كده طيب والله ما عنت حاكيلكوا علي حاجة تاني ولما الاقي الكنز هاخده كله لوحدي

– لا يا معتز دي مش اصول لما تلاقي الكنز عايزك تبقي تعزمني علي حواوشي

اتجه لحجرتي غاضبا اغمغم

– اتريق يا عم براحتك وهانشوف مين اللي علي حق

ادخل من باب الحجرة فأتجه نحو جهاز كومبيوتر موجود بها لاجلس عليه واتصفح الفيسبوك في لا مبالاه وفجأة تبرز لي رسالة علي الشات نصها (قوم شيل المخدة هاتلاقي تحتها رسالة مني) اتلفت حولي في خوف قبل ان اتجاهلها واكمل جلوسي الي الجهاز بعد قليل تظهر لي علامة ان الشبح يكتب رسالة قبل تخرج لي رسالة اخري (هاتقوم

ولا؟؟؟) يقوم معتز من مكانه متجها نحو سريره وهو يقول

– مش عارف أنا الحجات دي ما بتحصلش غير ليا ليه بس؟

ارفع حرف المخدة فأجد تحتها ورقة مطوية اخرجها في لهفة وافضها لأقرأ ما هو مكتوبا فيها بصوت عالي (استني بكرة لما تكون لوحدك في البيت وافتح الورقة تاني هاتلاقي فيها التعليمات وجهز عدة الحفر)

اتسائل بداخلي (عدة حفر؟؟ هو الكنز ده موجود فين؟) قبل ان اجيبه بصوت عالي

– حاضر يا عم اما نشوف اخرتها ايه؟

استيقظ من نوم متقطع (مضعضع) الاوصال لأخرج للصالة لأجلس الي كنبة الانتريه محاولا استجماع شتات افكاري بصعوبة كمن يحاول الامساك بأكياس بلاستيكية طارت منه في يوم عاصف يخرج عادل من احدي الحجرات مرتديا ملابس الخروج فيبادرني بالسؤال

– مالك قاعد كده ليه مش هاتنزل الجامعة النهاردة برضة؟

ارتبك قليلا باحثا عن اجابة

– هه؟ .. لا نازل .. بس كمان شوية

– طيب الفطار عندك في المطبخ مش عايزك تهرجل الشقة أنا سايبهالك مترتبه اهه ومفيش حد غيرك

اجيبه وأنا اراه بجلباب حريمي وطرحة كأي ام

– حاضر يا ماما

يتجه عادل لباب الشقة ليخرج بينما اتجه لحجرتي ادخلها لأرفع طرف المخدة لأجد ورقة عليها تعليمات واحداثيات اخرج بها للصالة واظل اقيس في مسافات من الحوائط لمنتصف الصالة ثم اخرج طبشورا لأعلم به علامة إكس علي الارضية وأبدأ في جلب (اجنة) ومطرقة من المطبخ وأبدأ في الحفر في منتصف الصالة .

****

بعد عدة ساعات وامام باب الشقة من الخارج وطرقة السلم يصعد عادل ومعه صاحب الشقة رجل في اواخر الخمسينات من العمر مرتديا بدلة صيفي بكم طويل يصعد السلم في صعوبة يسبقه عادل بعدة خطوات وهو يتحدث معه قائلا

– اتفضل يا حاج فلوس الايجار موجودة جوة خدها بالمرة

اشاهد ما يحدث وأنا اضحك وانصح عادل (مابلاش يا ابني هاتندم)

– ماشي يابني

يصل عادل باب الشقة فيتوقف ويخرج مفاتيحه من جيبه ويفتح باب الشقة ويتنحي قليلا سامحا للرجل بالدخول وهو يقول

– اتفضل يا حاج

يخطو الرجل خطوتين ليصبح في مواجهة باب الشقة قبل ان يتجمد في مكانه وهو يري معتز منهمك في الحفر يدرك عادل التغير الذي اعتري ملامح الرجل فينظر في اتجاه نظره فيتسمر في مكانه هو الاخر وعلي وجههما اعتي علامات (الاذبهلال) قبل ان ينطق عادل بصعوبة بالغة كأن الكلمات في حلقه قشر بلح زغلول غير مكتمل النضج

– يا نهار ابوك اسود أنت بتعمل ايه؟

لا داعي ان اخوض في تفاصيل ما حدث والتي ستستنتجها بسهولة بعد ان صرخ صاحب الشقة صراخا جمع علينا سكان البيت وحقنا للدماء حكم علينا السكان ان نغادر البيت سريعا ها أنا اري عادل ومعتز يحملون شنطهم وهم ينزلون بينما يقف صاحب البيت يراقبهم وهم ينزلون وقد بدا السخط علي وجه عادل قائلا

– يا حاج معلش اللي حصل ده مش هايتكرر تاني

– هو أنا هاستني لما تهدوا البيت علي دماغ الي قاعدين فيه؟

احاول ان اغريه بما عندي من معلومات فأرفع عقيرتي صائحا

– ياحاج والله زي مابقولك في كنز في المكان ده

يستدير عادل ليلكزني قائلا

– اخـرس بقي الله يحرقك هانلاقي شقة نسكن فيها فين دلوقت والامتحانات قربت

نترك الشقة ونمشي قليلا في شوارع القاهرة قبل ان انفصل عن عادل الذي تركني ليبيت عند خالته التي تعيش في القاهرة منذ زمن بعيد حتي يجد له ولزملائة شقة تأويهم و واهيم علي وجهي قليلا قبل ان تخطر لي فكرة (لابد ان اترك القاهرة واعود لبلدتي وجدتي لعدة ايام احاول ان استجمع فيها نفسي قليلا) بعد ان اقرر هذا لا اتمالك سوي ان استحضر صورة اروي (كم استوحشت هذة الفاتنة) لابد ان اودعها واخبرها بسفري حتي لا تتفاجأ به .

****

اجلس أنا واروي في احد الكازينوهات علي النيل في جلسة رومانسية شاعرية حتي اكاد اري عازف كمان يعزف اعذب الالحان واقفا بجواري لا يوقظني من احلام اليقظة سوي اقتراب موعد الاتوبيس فأضطر لأن اقطع الحوار الهامس بيننا لأومئ للجارسون طالبا شيك الحساب فيقدم لي الجارسون حافظة جلدية فيها الشيك فأترك الحساب للجارسون في الحافظة وانقده بقشيشا سخيا حتي يبدو شكلي جيدا امام (الحتة) وانصرف بينما تسبقني اروي بعدة خطوات متجهة نحو باب الكازينو تخرج اروي من باب الكازينو الحق بها علي بعد خطوات قليلة تنزل اروي من علي الرصيف قبل ان تلتفت لتواجه معتز قائلة

– يلا يابني ايه اللي مأخرك كده .

قبل ان اجيب انتبه علي صوت سيارة قادمة بسرعة تكاد تصدم اروي فتتراخي ركبتي وترتعش رجلي كأنها مصنوعة من جيلي الفراولة بينما تعلو ملامحي نظرة جزع وخوف مطلقين وقد سقط قلبي حرفيا في قدمي قبل ان يتدخل احد المارة ليشد اروي ويبعدها عن مسار السيارة المسرعة ويكمل طريقة بينما يظل معتز علي حاله وهو يرتجف بشدة فتقترب منه اروي قائلة

– علي فكرة أنا اللي كنت هاتخبط بالعربية مش أنت

اجيبها ومازال قلبي يشعر بالوهن كفانوس رمضان تم استهلاك بطاريته لأقصي حد مسموح ولم يعد بداخلها أي طاقة تمده بها بينما انسحب الدم من رأسي وانتابني شعور ببوادر دوار

– عارف عارف

– امال ايه؟؟ مالك متاخد كده؟

– موضوع هابقي اقولك عليه يلا نكمل طريقنا

اكمل أنا واروي طريقي والاجهاد والقلق يبدو جليا واضحا علي ملامحي كرصاصة في منتصف جبهة قتيل. احاول تغيير دفة الحديث

– انتي هاتعملي ايه الاسبوع الجاي

تجيبني في بساطة وقطع من الذهب واللؤلؤ تتساقط من شفتيها

– عادي يعني محاضرات وجامعة ومدينة

القي اليها بسري مفتونا بها لأزيحه عن كاهلي

– اصل أنا نازل البلد اجازة كده كام يوم وهانبقي علي موبايلات بقي

نواصل مشينا في طريقنا لأتجه نحو موقف الاتوبيس لأستقل الحافلة التي سوف تقلني لبلدي.

****

اصل للبلدة لاتجه الي بيتي لأسلم علي جدتي سلاما حارا بفعل الشوق التي تستقبلني استقبال المرتب اول الشهر ثم تقوم بتجنيدي في مهمة اكل قومية علي مائدة بها ما لذ وطاب من كل الاصناف المشهورة في الريف من ارز معمر وبط وفراخ ولحوم وصواني في الفرن منها علي سبيل المثال لا الحصر صنية بطاطس ورقاق ومكرونة بالباشاميل (المفروض يسموه سعادة الباشا ميل اصل الراجل ده أنا بحترمه قوي) ثم اذهب الي تحت التوتة اجلس أنا وسامح في نفس مجلسنا المعتاد نتحدث احكي له ما حدث مع اروي لأنهي حديثي بتلخيصي لما حدث قائلا

– بس يا عم منظري كان زبالة قدامها

يحاول سامح ان يريح قلب صديقه وهو يعلم و–يعلم اني اعلم– انه

يكذب ولكنه يعلم ان الصاحب له عند صاحبه اشياء منها الكذب الابيض الحميد .

– ولا زبالة ولا حاجة اكيد هيا عارفة قصة حياتك خلي الكلام ده لحد غريب

اعود برأسي للوراء في صمت بينما يصمت سامح محترما صمتي وأنا اواصل الغوص في ذكرياتي بدون نظارة ولا اسطوانة اكسجين

يرجع شريط ذكرياتي حتي يتوقف عند اهم واصعب موقف مررت به في حياتي في سن الثانية عشر حدثا كان له ابلغ الاثر في حياتي السابقة واللاحقة تخيلوا معي بيت ريفي عادي يقف وحيدا وسط مساحات لا متناهية من الزراعات بينما نسمع اصوات متداخلة لكائنات الريف تعزف سيمفونيات مرعبة في الخلفية ولا يبدو اي اثر لبشري في مثل هذا التوقيت

ادخلوا معي حجرتي العادية لتروني فيها في الثانية عشر من عمري نائما علي سريري في استغراق . اتململ في مكاني قليلا قبل ان انتبه واعتدل منصتا دون ان اسمع شيئا احاول العودة للنوم وطرد مخاوفي غير المبررة ولكني اعجز عن مواصلة النوم فأقوم من مكاني وافتح باب الغرفة وامشي في صالة البيت مقتربا من حجرة والدي ووالدتي اطرق الباب دون ان يجيبني احد أواصل الطرق قليلا قبل ان اقرر الدخول الي حجرة والدي ووالدتي ذات الاضائة الخافتة بينما ينام ابي وامي علي سرير نحاس ذو

اعمدة وناموسية من الشبيكة البيضاء تتدلي لتغطي السرير وبجوار السرير كنبة وقد تم فرش كليم زاهي الالوان علي ارضية الغرفة وبجوار السرير صينية تم وضع عدد من القلل بها كنوع من انواع الديكور أدخل من باب الحجرة مقتربا من امي في هدوء مناديا بصوت خافت محاولا الا أوقظ ابي

– ماما ماما

لا تجيبني امي فأرفع صوتي قليلا

– ماما ماما

لا تجيبني امي فأقترب واهزها محاولا ايقاظها فلا تستجيب فأحاول ايقاظ ابي فلا يستجيب هو الاخر اقف بجوارهم حائرا عاجزا عن اتخاذ اي قرار قبل ان اتركهم في خوف متجها نحو الصالة فاتحا باب البيت لأخرج

اخرج من باب البيت لأقف وانظر حولي محاولا العثور علي شخص اكبر مني سنا ينقذني من هذة الورطة دون جدوي اسمع صوت حركة في الزراعات المجاورة فأنتبه مستبشرا محاولا استكشاف مصدر الصوت لأكتشف انه احد كلاب القرية انظر حولي مرة اخري فلا اجد احد فيستولي علي اليأس أن أجد أحدا في مثل هذا التوقيت فأقرر العودة لداخل المنزل

ادخل الي حجرة ابي لأتكوم علي نفسي بجوار السرير وأنا ارتجف كورقة في مهب الريح قبل ان تدخل جدتي علي تدرك الجدة وجودي فتقترب مني وقد ادركت بغريزة الأنثي وجود خطب ما

– مالك يامعتز قاعد كده ليه؟

لا اجيبها فتلتفت نحو ابي وامي وتجري نحوهم محاولة ايقاظهم بلا جدوي فتنهمر دموعها وهي تصرخ قائلة

– يلاااهوي الحقوني ياناس

لا اتذكر من هذة الفترة التي تلت وفاة ابي وامي سوي بعض الومضات منها سرادق عزاء مقام في احد الحقول الفارغة بينما يعلو صوت احد القراء في تلاوة ايات من القرآن الكريم عن الموت بينما تقف الجدة باكية تأخذ العزاء

وومضة اخري اري نفسي نائما علي احد الاسرة محموما اهذي بكلمات غير مفهومة بينما تجلس بجواري احدي النسوة المتشحات بالسواد تضع لي كمادات علي رأسي بينما يعلو صوت قاريء اخر في الخلفية

ينقطع شريط ذكرياتي عند هذا الحد فأعود الي جلستي مع صديقي سامح لأعتدل في اصرار عازما علي امر ما

– أنا لازم اخلص من الخوف ده أنا هارجع علي مصر ولازم اشوف حل

ينظر سامح نظرة تعاطف نحوي دون ان يرد

****

اجد نفسي راكبا الاتوبيس السوبر جيت متجها للقاهرة يجلس بجواري رجل صعيدي انظر له في قلق بينما خفتت اضائة الاتوبيس ويتم عرض فيلم الظالم والمظلوم علي شاشة فيديو الاتوبيس المنطلق الي وجهته وسط ظلام الليل بينما افشل في الاندماج مع احداث الفيلم او حتي النوم نتيجة لقلقي منه

اذهب الي مقهي محروس النصف ممتلئ بالرواد كعادة معظم المقاهي في هذا التوقيت النهاري. ادخل الي المقهي لأجلس الي احد كراسيه بينما يقترب مني حربي صبي المقهي قائلا

– باشا مساء الورد لينا فترة ماشفناكش .... تشرب ايه ياباشا؟

اجيبه وأنا اشعر (مش ناقصة مرار كفاية اللي احنا فيه)

– ربنا يخليك يا حربي هاتي قهوة زيادة

– عيني ياباشا ... أنت مستني عم محروس؟

– اه

– هو زمانه جاي ياباشا

ينصرف حربي ليعود بقهوة معتز يضعها امامه وينصرف ملبيا طلبات زبائن اخرين بعد قليل يدخل محروس من الباب ليجلس في مكانه المعتاد مناديا علي حربي صبي المقهي

– هات لي ياحربي قهوتي وشيشة تفاح

اقترب منه مسلما عليه لأجلس بجواره بينما يقترب منا حربي بطلبات محروس يضعها وينصرف فأبادره قائلا

– ازيك يا عم محروس

ينظر له محروس نظرة (هو انت؟!) قبل ان يجيبني كمن يعض علي قطنة لحظة خروجه من عند طبيب اسنان

– اهلا يا معتز بيه اؤمرني

ارد عليه وأنا اغمز بعيني بطريقة من يخبره (ان البضاعة في امان)

– عايز شقة يا عم محروس بس ماتكونش زي بتاعت المرة اللي فاتت

– مالها يابيه بتاعت المرة اللي فاتت

– أنت عارف وأنا عارف يا عم محروس

يسحب محروس نفسا عميقا من الشيشة قبل ان ينفخ الدخان باتجاهي فيخفي الدخان محروس تماما عني اهش الدخان عن وجهي وأنا اسعل

بشده لأكتشف عدم وجود محروس واختفائه تماما بعد انقشاع الدخان التفت حولي في ذعر قبل ان اصرخ

– يلاااااااااااهوي

قبل ان اغادر المقهي في غضب كاسح يعتريني وأنا افكر هل اصبحت قبلة كل الكائنات من خارج عالمنا؟ لأقابلهم واصطدم بهم في طريقي اتصل ببيبرس واتفق معه علي ميعاد اقابله فيه في كافي شوب عادي نعرفه اذهب الي الكافيه واجلس الي احد الموائد وقد بدا علي الحزن بينما يقترب مني بيبرس ليجلس الي احد الكراسي المقابلة لي وهو ينظر اليه متعجبا

– ايه يا عم مالك قافل ليه كده ومودك غامق؟

– متضايق شوية وبفكر اشمعني الحجات دي مابتحصلش غير ليا أنا ؟

يصمت بيبرس قليلا مفكرا ويشير للجارسون ان يحضر لنا كوبان من القهوة يحضرهما الجارسون في وقت قليل يرتشف بيبرس اول رشفة من كوب قهوته فيبدو ان هذة الرشفة شغلت (الفهامة) لديه

– بص يا عم أنا اعرف لك واحد سمعته في الموضوع ده زي الفل وبيحكوا عنه حكاوي السنين تعال نروح له ونسأله

اجيبه شاعرا بشعور الاعور (ضربوه علي عينه قال هي خربانه خربانه)

– يلا يا عم هانخسر ايه؟

ننهي قهوتنا ثم نقوم أنا وبيبرس مغادرين. ينادي بيبرس علي الجارسون

– يا ريس حسابك كام؟

– اتناشر جنية يا باشا

يدفع بيبرس الحساب وينصرفان

****

ينزلنا الميكروباص في منطقة شعبية بأزقتها الضيقة واهلها البسطاء بينما يلعب عدد من الصبية الصغار في الشارع نمشي أنا وبيبرس في الشارع يقترب بيبرس من احد المارة ليسأله قائلا

– بقول لك ايه يا شبح هو فين بيت الشيخ سيد؟

يشير له الرجل نحو احد البيوت القديمة التي لها حوش صغير قائلا

– هو ده البيت يا استاذ

الكز بيبرس في جنبه شاعرا بـ (أنت كده بتلعب في منطقتي يا معلم) قائلا

– هي ناقصة اشباح الله يحرقك؟؟

يجيبني ضاحكا في سخرية

– لامؤاخذة يا زميلي فاتتني دي

يتجه بيبرس ومعتز نحو البيت ليدخلو من بابه للحوش فيستقبلهم شاب في العشرينات من العمر صبوح الوجه يرتدي جلبابا ابيض وطاقية شبيكة بينما تحتل زبيبة صلاة مكانا بارزا في جبهته ليسألهما

– اي خدمة يا شباب

– احنا جايين نقابل الشيخ سيد

– يا مراحب اتفضلوا

يقودنا الشاب الي احدي الغرف ذات الاضائة الخفيفة بها عدد من الكنب مرصوص بموازاة حوائط الغرفة وطرابيزة تحتل منتصف الغرفة عليها مزهرية رخيصة الثمن بها بعض الزهور البلاستيكية براقة الالوان ومبخرة فارغة يشير الشاب الي احدي الكنبات قائلا

– الشيخ زمانه جاي اتفضلوا استريحوا

– شكرا يا نجم

اتجه أنا وبيبرس الي حيث اشار لنجلس بعد قليل يدخل علينا رجل في منتصف الثلاثينات من العمر يرتدي جلبابا ابيض ويطلق لحية قصيرة يحددها ويرتدي شملة بيضاء تحتها طاقية صوف وعلي وجهه ابتسامة مرحبه

– يا اهلا يا اهلا

يسلم علينا سيد ويجلس الي احدي الكنبات المقابلة قائلا في بشاشة

– خير ان شاء الله

اشعر بالارتياح لهذا الرجل يبدو انه يعلم ما يتكلم عنه

– والله يا شيخ سيد أنا بشوف حجات غريبة وبتحصل لي حجات مش لاقي لها تفسير

يوجه بيبرس حديثه للشيخ سيد محاولا ان يجود

– والله يا شيخنا احنا سمعنا عنك كل خير والله

– ربنا يخليك يا استاذ طيب ثواني كده وجايلك

يخرج سيد من الغرفة ليعود بعد ثوان ممسكا بكوب ماء يعطيه لمعتز قائلا

– اشرب الكوباية دي ده ماء قرآن وتعال نعمل تجربة صغيرة سوا كده

التقط الكوب من يده لأشربه ارتشف منه رشفة في البداية لأستطعمه فأجده ماء عادية فأجرع باقي الكوب دون قلق بينما يغلق سيد باب الحجرة كمن يخشي علي اسرار كهنوته ان تنتشر ويعرفها العامة

– اقف كده يا استاذ وغمض عنيك

اقف ممتثلا لأمره واغمض عيني فيبدأ سيد في التمتمة ببعض العبارات بصوت منخفض وهو يشير بيديه نحوي قبل ان يرتفع صوته قائلا في لهجة آمرة

– لو عليه حاجة تطلع تكلمني

تتجمد الكلمات علي شفتي سيد وهو ينظر برعب خلف معتز الذي يفتح عينيه وينظر له في عدم فهم بينما تبدأ الأشباح مرسي وعاشور وشبح الكنز (كل الاشباح التي ظهرت سابقا وتمثلت امام معتز) في العبور عبر حائط المكان لتتجسد لسيد الذي يصرخ قائلا

– انتوا ايه اللي جابكوا هنا كلكوا

– بتكلم مين يا شيخ مفيش غيري أنا ومعتز

– اسكت ربنا ياخدك أنت مش شايف اللي أنا شايفه

تنتاب سيد حالة هيستيريا قيل ان يصرخ قائلا وهو يدفع معتز وبيبرس

– اطلعوا برة .... اطلعوا برة

اخرج أنا وبيبرس من عند سيد الذي بدا عليه انه رأي ما يفوق خبراته او ما يتجاوز قدراته لأقول لبيبرس

– ماله ده .... شكله اتجنن ده ولا ايه؟؟

– يلا يا عم نمشي لحسن شكلها هربت منه.

يتصل بيبرس بعادل ونتفق ان نقابله في احد المقاهي القريبة الي سكنه الجديد فمن المؤكد انه لن يستأمن ان يدخلنا شقته بعدما حدث يكفي علمه بوجود مايسكن الشقة ولكن يريحه عدم رؤيتهم او الاحساس بهم نذهب الي المقهي لنجد عادل في انتظارنا يجلس كلا منا الي احد كراسي المقهي ويبدأ بيبرس في حكاية ما حدث مع الشيخ سيد قبل ان ينهمك الجميع في الضحك بينما انظر لهم في تعجب

– اضحكوا براحتكوا امال أنا اعمل ايه بقي؟ الراجل شاف لمحة من اللي أنا عايش فيه هبت منه امال اللي عايش في الهم ده يعمل ايه؟

يجيبني عادل كمن يرمي ورقته الاخيرة التي كان يدخرها لأخر الدور

– بص يا سيدي في مجموعة من اصحابي نزلوا نسخة من كتاب شمس المعارف الكبري من علي النت وعاملين قعدة وهايحضروا عفريت كبير من ملوك الجن

اجيبه وأنا اتعجب بطريقة (هي المبلة ناقصة طين؟)

– وأنا مالي أنا بالحوار ده هو أنا ناقص

يجيبني بسبب مقنع اراه وجيها

– ماتروح يا عم وتسأله اللي بيحصللك ده سببه ايه أحسن من اي حد هاتسأله ويقعد يفتيلك

– مش عارف والله أنا مش خلصان منهم كده اروح احضر واحد بالسحر ؟

– اتكل علي الله يعني هايبقي اصعب ماللي شفناه

اشعر به كمن (يقنعني اروح اقرا فاتحة) فأسوف محاولا تأجيل الاجابة قدر الامكان

– خلاص هافكر وارد عليك

– لما يتحدد المعاد هاكلمك

احاول ان اجد من يدعمني فأسأل بيبرس

– هاتيجي معايا ولا ايه؟؟

(يستندل) معي بيبرس ويتركني اواجه ما سأواجهه وحدي

– كفاية عليا الشطرنج وايامه يا معلم أنا مش ناقص.

****

اتمكن بأعجوبة من ان اجد شقة في مثل هذا التوقيت بعد ان قدمت بعض التنازلات وتكلفت قيمة ايجارية تكاد تصل للضعف ولكن كله يهون في سبيل الدراسة (علي أساس اني هافلح السنة دي بعد اللي شفته) لا يشغلني سوي ان اجد سببا واحدا لكل ما أمر به في حياتي

من ظواهر غير طبيعية اقرر ان افتح صندوق اسراري واصارح اروي بما اقترحه علي عادل واني انتوي حضور جلسة تحضير جان اجلس في صالة الشقة فاتحا لاب توب وأحد برامج الشات أتحدث مع اروي عبر كاميرا الويب والمايك ويظهر صورة مصغرة لأروي هذا الوجه الملائكي داخل شاشة اللاب توب

– والله مش عارف يا اروي الموضوع ده تعبني قوي وفي سكة كده هامشي فيها اشوف يمكن اعرف سبب اللي بيحصل ده ايه؟

يأتيني صوتها ساحرا كنوتة موسيقية لبتهوفن او موتزارت عبر سماعات اللاب توب

– سكة ايه دي؟

اصمت مفكرا واتراجع عن اخبارها خوفا من ان اجعلها تشعر بالقلق

– هابقي اقولك لما يخلص الموضوع

تجيبني بما يشعرني بتأنيب الضمير كشخص قرر ان يبدا الرجيم باليوم الفري

– مش عارفة أنا قلقانة ليه؟ ماتصارحني وتقولي

يرن جرس تليفوني فألتقطه لأرد استأذنها قبل ان اذهب

– ثواني يا اروي خليكي معايا

افتح الخط محدثا عادل

– الو ... ايوه يا عادل.... ايه ... دلوقت؟ حاضر هالبس واجيلك ... فين؟ اربعتاشر مجاورة اتناشر خلاص يا عم تمام تمام يلا سلام سلام

انهي المكالمة واتوجه بحديثي لأروي اخبرها بنزولي وعلي وجهي لافتة كبيرة مكتوب عليها (ربنا يستر)

– أنا هاقفل دلوقت وهاكلمك بعدين

تسألني بألحاح الانثي الشهير

– هاتروح فين ماتعرفني يابني علشان لو حصل ليك حاجة

اجيبها محاولا الهروب حتي لا اتراجع

– مفيش وقت هانتكلم في الموضوع ده بعدين

تفيدني مناورتي في جعلها (تتقمص) وتنهي الحديث

– كده يا معتز ماشي سلام

تغلق اروي الشات فاقوم لأرتدي ملابس الخروج وأتجه نحو باب الشقة لأغلقة واغادر

****

عادل يجلس الي احدي موائد كافي شوب انيق وهو ينظر في ساعته في ملل وضجر واضحين قبل ينقل نظره نحو باب الكافيه كل دقيقتين ليرمق الشارع بنظرة ساخطة كعادته منذ ان تأخرت عن موعدي في اللحظة التي يمل فيها عادل من النظر الي الباب ادخل أنا من باب الكافيه فيشير لي عادل لأقترب منه بينما يقف عادل قائلا

– ايه يا عم اللي اخرك كده

اجيبه بكلمات بطيئة كفيديو يحمل بعد انهاء الباقة

– والله أنا جاي بقدم رجل وبأخر التانية

أتجه لأحد الكراسي اسحبه تأهبا لأن اجلس فيبادرني عادل قائلا

– أنت لسه هاتقعد الناس بقالهم ساعة مستنين فوق

اتسأل في دهشة حقيقية

– فوق فين؟ هي الشقة في نفس العمارة

يجيبني عادل بكلمة مقتضبة تجعلني اتوجس خيفة اكثر

– اه

ثم يشير للجارسون اشارة معانها انه يطلب الحساب فيقترب بحافظة جلدية يقدمها لعادل فينظر بداخلها ويضع بها الحساب ويسلمها له

ويقودني نحو باب الكافيه للأنصراف بينما يشيعنا الجارسون بعبارة مجاملة وقد تناسبت ابتسامته طرديا مع حجم البقشيش الذي تركه له عادل

– شرفتوا يا بهوات

نخرج من باب الكافية فيرفع عادل نظره ليمسح العمارة من الخارج ليتوقف ثوان علي بلكونة مفتوحة في الدور الرابع بجوارها شباك مغلق يركز عليها قليلا قبل ان ندخل باب العمارة ذات الاربع ادوار لنغيب بداخله ثم نرتقي درجات السلم أنا وعادل يقابلنا في احد الادوار رجل في اواخر الثلاثينات من العمر يحمل رضيعا غافيا علي كتفه نازلا في عكس اتجاهنا يلقي عليه عادل سلاما باردا فيرد في خفوت كأداء واجب

****

في هذة الاثناء فوق في الدور الرابع في شقة عادية الاثاث يجلس خالد وجلال شباب في منتصف العشرينات والثلاثينات بالترتيب يرتدون ملابس شبابية عادية في صالتها الي كنبة الانتريه يتحدثون

– كده الدنيا جاهزة وتمام التمام

– بس الناس تيجي بس وهانبدأ علي طول

يدق جرس الباب فيقوم جلال ليفتح الباب بينما يقوم خالد من مكانه مرحبا

– اهلا بالشباب اتفضلوا

ادخل أنا وعادل للشقة أدور بعيني متفحصا في الشقة لأجد في الصالة جهاز كومبيوتر وانتريه عادي وبعض الاثاث مثل سفرة وانتريه وبعض اللوحات الفنية رخيصة الثمن معلقة علي حوائط الشقة منها لوحة لكلاب تلعب البوكر ولوحة تقليد للوحة الموناليزا ورادیو ديجيتال وبلكونة مفتوحة بينما يتولي عادل التعريف بالجميع

– معتز ..... خالد وجلال

ارحب بهم بهزة من رأسي قائلا

– اهلا بيكوا

– شرفت يا نجم

اتسائل في توتر كمن يتمني ان ينهي عذاب الانتظار في اقرب وقت ممكن

– هانقعد هنا؟

يجيبني جلال في حماسة مصطنعة بعرض اشك في كونه حقيقيا

– طيب اشرب حاجة الاول

اجيبه بجدية وعلي وجهي تعبير (انجز علشان ما ارجعش في كلامي)

– خلينا نبدأ علي طول .. علشان أنا اعصابي مش مستحملة

يبتسم خالد في لزاجة حلاوة نزع الشعر قائلا

– مش مستحملة ايه ياراجل احنا نعرف عنك انك خبرة يعني

الخص لهم الوضع حتي لا يظن بي احدهم بطولة زائفة

– غصب عني يا معلم مش بأيدي

يوجهنا جلال الي احدي الغرف قائلا

– طيب اتفضلوا من هنا

نتوجه جميعا نحو الحجرة لندخلها انها حجرة شبه مظلمة يدخل جلال يتبعه خالد وعادل وادخل أنا اخرهم بعد ان تعتاد عيناي الظلام أري في الحجرة سرير شبابي صغير عليه ملائة بيضاء مرسوم عليها نجمة خماسية بالاحمر حولها دائرة وهناك شموع مطفأة عند كل مثلث من مثلثات النجمة بينما في المنتصف مبخرة صغيرة يخرج جلال من جيبه ولاعة يشعل بها الشموع ويضع بعض البخور في المبخرة ويأمرنا جلال بالجلوس علي اطراف النجمة

– كل واحد يقعد هنا

ننصاع لأوامره بينما يدور جلال علينا ليسلم كل واحد منا ورقة يضعها امامه قائلا

– كل واحد يحط الورقة دي قدامه ويمسك بأيد اللي جنبه وعايزين نقراها بصوت عالي كلنا في نفس واحد ونفضل نكررها لغاية لما تيجي الاشارة

يمتثل الجميع لأوامر جلال ويبدأون في ترديد التعاويذ

– يا ايها القائم ليلا والحاكم عدلا. يا من تسكن في أسفل الصحراء. يا من لا يستطيع احد ان ينطق اسمك. يا من تحرس المنكوبين والمحمومين. أهرب بيننا وأجري من بين أصابعنا. بحق هذة الاسماء. غريط غريط الغتاب الغتاب هلعائيل هلعائيل الوحا الوحا العجل العجل دهلوب شالود خيلوج خيلوج شيلوج شيلوج. فلتحضر الينا يا ملك ملوك الجان وتتمثل امامنا!!!!!. يا ايها القائم ليلا والحاكم عدلا. يا من تسكن في أسفل الصحراء. يا من لا يستطيع احد ان ينطق اسمك. يا من تحرس المنكوبين والمحمومين. أهرب بيننا وأجري من بين أصابعنا. بحق هذة الاسماء. غريط غريط الغتاب الغتاب هلعائيل هلعائيل الوحا الوحا العجل العجل دهلوب شالود خيلوج خيلوج شيلوج شيلوج. فلتحضر الينا يا ملك ملوك الجان وتتمثل امامنا!!!!!.

نظل نردد تلك التعاويذ وأنا اتابع لفترة من الوقت في قلق ملامح الجالسين حولي وقد اكتست بظلال متراقصة عجيبة حتي يعتدل جلال قائلا

– ياجماعة في حاجة غلط لازم كلنا نركز ونصفي نيتنا علشان يحصل تجلي حاولوا تنسوا اي حاجة برة الاوضة دي والا تعبنا كله هايروح

عالفاضي.

يغمض الجميع اعينهم ويعيدون تلاوة التعاويذ بتركيز اكثر

– يا ايها القائم ليلا والحاكم عدلا. يا من تسكن في أسفل الصحراء. يا من لا يستطيع احد ان ينطق اسمك. يا من تحرس المنكوبين والمحمومين. أهرب بيننا وأجري من بين أصابعنا. بحق هذة الاسماء. غريط غريط الغتاب الغتاب هلعائيل هلعائيل الوحا الوحا العجل العجل دهلوب شالود خيلوج خيلوج شيلوج شيلوج. فلتحضر الينا يا ملك ملوك الجان وتتمثل امامنا!!!!!. يا ايها القائم ليلا والحاكم عدلا. يا من تسكن في أسفل الصحراء. يا من لا يستطيع احد ان ينطق اسمك. يا من تحرس المنكوبين والمحمومين. أهرب بيننا وأجري من بين أصابعنا. بحق هذة الاسماء. غريط غريط الغتاب الغتاب هلعائيل هلعائيل الوحا الوحا العجل العجل دهلوب شالود خيلوج خيلوج شيلوج شيلوج. فلتحضر الينا يا ملك ملوك الجان وتتمثل امامنا!!!!!.

يبدأ الجميع في سماع صوت خافت لطرقات من تحت السرير فيقول جلال في هدوء دراماتيكي مفتعل وكانه يظن نفسه (امين شرطة اسم الله ولا ديبلوماسي)

– كده حصل حضور يا جماعة محتاجين نركز اكتر علشان يحصل التجلي ياريت ننفصل عن العالم كله

يبدأ الجميع في ترديد التعاويذ مرة اخري في تركيز اكثر بينما ألاحظ ان جلال وخالد يرمقون عادل ومعتز المغمض العينين محاولا التركيز بنظرات غير مريحة

– يا ايها القائم ليلا والحاكم عدلا. يا من تسكن في أسفل الصحراء. يا من لا يستطيع احد ان ينطق اسمك. يا من تحرس المنكوبين والمحمومين. أهرب بيننا وأجري من بين أصابعنا. بحق هذة الاسماء. غريط غريط الغتاب الغتاب هلعائيل هلعائيل الوحا الوحا العجل العجل دهلوب شالود خيلوج خيلوج شيلوج شيلوج. فلتحضر الينا يا ملك ملوك الجان وتتمثل امامنا!!!!!. يا ايها القائم ليلا والحاكم عدلا. يا من تسكن في أسفل الصحراء. يا من لا يستطيع احد ان ينطق اسمك. يا من تحرس المنكوبين والمحمومين. أهرب بيننا وأجري من بين أصابعنا. بحق هذة الاسماء. غريط غريط الغتاب الغتاب هلعائيل هلعائيل الوحا الوحا العجل العجل دهلوب شالود خيلوج خيلوج شيلوج شيلوج. فلتحضر الينا يا ملك ملوك الجان وتتمثل امامنا!!!!!.

بعد مرور فترة زمنية قصيرة يبدأ الجميع في الشعور بحركة خفيفة من تحت السرير فيصرخ فيهم جلال قائلا

– محدش يخاف التجلي قرب ركزوا اكتر

– يا ايها القائم ليلا والحاكم عدلا. يا من تسكن في أسفل الصحراء. يا من لا يستطيع احد ان ينطق اسمك. يا من تحرس المنكوبين والمحمومين.

أهرب بيننا وأجري من بين أصابعنا. بحق هذة الاسماء. غريط غريط الغتاب الغتاب هلعائيل هلعائيل الوحا الوحا العجل العجل دهلوب شالود خيلوج خيلوج شيلوج شيلوج. فلتحضر الينا يا ملك ملوك الجان وتتمثل امامنا.

يردد المجموع التعاويذ بينما بدأ القلق في التسرب الي ملامحي وأنا احاول جاهدا الا يظهر علي هذا القلق وفجأة تزيد حدة الحركة من تحت السرير ويقع تابلوه معلق علي الحائط مرتطما بالاض مصدرا دويا هائلا وينفتح زجاج الشباك في عنف فيطفيء نور الشمعات فيغرق المكان في ظلام دامس لا أسمع فيه سوي تلاحق انفاسي اللاهثة في خوف وفزع تمتد يد من اسفل السرير لتلمس ظهري فأصرخ قائلا

– أنا حاسس بحاجة بتمشي علي ظهري

ثم أقف في فزع وأنا أصرخ صريخا متلاحقا وتتحرك ذراعاي في الهواء (كمن يحاول ان ينفض عن كتفيه حشرات وهمية وانسجة عنكبوت جديرة ان تنسج بطانية) فيقوم جلال ليمسكني في عنف كمن استشعر اني امشي بخطي وئيدة في (سكة اللي يروح مايرجعش) قائلا

– اهدي اهدي مفيش حاجة اطلع يا مراد اطلع يا مراد

يرفع مراد ذا الاربعة عشر ربيعا ضئيل الحجم مرتبة السرير ليخرج من سحارته بينما يضيء خالد نور الغرفة ويقع الجميع في نوبة ضحك

صارخة وأنا اقف ادور لأوزع عليهم نظرات كفيلة بشيهم احياء قبل ان أخرج من الغرفة غاضبا بينما ينادي علي

جلال وسط ضحكاته قائلا

– خد بس تعال افهمك خد

أخرج من باب الحجرة غاضبا تتصاعد من اذني ابخرة الاهانة فيخرج عادل ورائي قائلا في كذب واضح مفضوح وسط ضحكاته الهيستيرية

– والله ما كنت اعرف انهم هايعملوا كده أنا شربت المقلب زيي زيك بالظبط

اسكته محاولا منعه من اكل دماغي بمزيد من الترهات

– عادل أنا اعصابي بايظة دلوقت هاخرج البلكونة اهدي اعصابي شوية ... معاك سيجارة؟

– سيجارة؟ بس أنت مابتدخنش ...

يستجيب ويخرج علبته ويستخرج سيجارة يسلمها لي بناء علي نظرتي النارية نحوه

– خد هدي اعصابك كده وروق يا عم

ألتقط السيجارة من عادل وألتقط منه ولاعة أشعل بها السيجارة بيد

ترتجف قبل ان أعطي الولاعة لعادل وأخرج للبلكونة بينما يقف عادل لثواني حائرا هل يتبعني ام يعود لأصدقائه قبل ان يقرر العودة أصدقائه إيثارا لسلامته الشخصية اما أنا فأخرج الي البلكونة أستند علي سورها وأسحب نفسا عميقا من السيجارة فيتسرب النيكوتين الي شراييني ليتغلغل داخل خلايا مخي قبل ان أزفره في ضيق لتحين مني التفاته لأكتشف وجود سلما حديديا يصل بين البلكونة والسطح بجواره كيسا فيه زبالة تلتمع في عيني نظرة ظفر قبل ان أضع السيجارة علي سور البلكونة وأحمل الكيس في يدي وأرميه في الشارع وأنا أصرخ

– آآآآآآآآآآه

بمجرد ان يلمس الكيس الارض مصدرا دويا هائلا نتيجة انفجار الكيس أصمت وأصعد السلم الحديدي في سرعة مختفيا فوق سطح العمارة

في هذة اللحظة تحديدا كان عادل وخالد وجلال ومراد يجلسون الي السرير وعلي وجوههم ابتسامة مرحة بينما يقول مراد

– صاحبكوا زمانه قطع الخلف دلوقت

– شفت شكله لما طلعت كان تحفة

ينهرهم عادل مشفقا علي صديقه

– بس بقي شكل اعصابه باظت بجد

يسمع الجميع في الخلفية صوت معتز

– آآآآآآآآآآآآآه

يليه صوت انفجار الكيس فيتجمد الجميع علي اثره قبل ان يصيح عادل قائلا

– يلاااهوي الواد شكله انتحر

يقوم جلال في سرعة ليخرج من البلكونة ملاحظا سيجارة معتز القابعة كعود بخور يخرج خيطا رفيعا من الدخان قبل ان يتلاشي في السماء .ينظر جلال للشارع فيبصر من وجهة نظره عددا من المارة تجمعوا ينظرون لأعلي في دهشة فيلتفت جلال نحوهم قائلا في جزع من أيقن انه لبس مصيبه متجمدا في مكانه للحظات

– الواد شكله رمي نفسه من البلكونة

يخرج جلال ليأخذ عادل ومراد وخالد من الصالة في طريقه ليفتح باب الشقة ويخرجوا جميعا لينزلو من سلالم العمارة قفزا

****

في نفس تلك اللحظة العظيمة وهذا التوقيت المذهل أنزل من السلم الحديدي الموجود في البلكونة في سرعة وأدخل للصالة متجها نحو باب الشقة ابحث قليلا في الصالة قبل ان التقط سلسلة مفاتيح أدس احدها

في قفل الباب مغلقا اياه

ولكم ان تخيلوا معي سعادتي الطاغية وانتصاري (كمن عثر علي برطمان نوتيلا منسي داخل ثلاجته) حينما يدخل المفتاح ثقب القفل مزيحا سوسته قبل ان يلف ليخرج لسان القفل مغلقا الباب اترك المفتاح في مكانه مانعا اياهم من فتح الباب حتى لو كان مع احدهم نسخة من المفاتيح اعود للبلكونة وأقف فيها مكملا سيجارتي في شماتة ثم أنظر لأسفل لأري جلال وعادل ومراد وخالد يخرجون من باب العمارة لينظروا حولهم في حيرة قبل ان تحين التفاته عفوية من جلال رافعا رأسه نحوي فأصرخ مناديا

– بقي انتوا بتعملوا فيا كده ايه رايكوا بقي هاتباتوا الليلة دي في الشارع

يجيبني جلال اول من ادرك الخدعة

– يا عم ماتهزرش بقي مالوش لازمة هزار البوابين ده

– واللي انتوا هزرتوه معايا ده كان ايه هزار سباكين؟

يستعطفني خالد قائلا

– يا عم حقك عليا أنا

انهره بغلظة

– اخرس يا سافل

يتفتق ذهن مراد عن حجة غبية يحاول الخروج بها من هذا المأزق وفيها بيع مباشر لأصدقائه

– أنت عارف يابرنس أنا ماليش دعوة بالحوار ده هما اللي قالولي اعمل كده عملت

– مش عملت اشرب بقي يا برنس

يحاول عادل ان يعتمد علي رصيده عندي

– طيب وأنا والاخوة الي بينا

أنظر له في ازدراء قبل ان أدخل مغلقا باب البلكونة ورائي معلنا نهاية النقاش.

****

يقف جلال وخالد ومراد وعادل امام العمارة في حيرة (من طلب منه ان يجلس في احد اركان حجرة دائرية) قبل ان يكسر عادل حاجز الصمت مفكرا بصوت عالي

– والعمل دلوقت؟

يجيبه خالد في استسلام

– شكلنا هانقضي الليلة علي القهوة

يعترض جلال علي كلام خالد اعتراضا غاية في الوجاهة

– قهوة ايه أنا ماعييش فلوس

يأتي لهم مراد بالحل السحري

– حظكوا ان في فلوس سايبها احتياطي في العربية هاسلفكوا ونتحاسب بعدين

– طيب يلا ندخل نشوف هانطفح ايه؟

يتجه الجميع نحو الكافيه ليدخلوه بينما يتجه مراد نحو سيارة **١٢٨** تركن بجوار العمارة ليجلب منها نقودا ويلحق بالمجموعة.

****

بعد ان جعلتهم يتجرعون من نفس الكأس الذي ارغموني ان اشرب منه ها أنا ذا أمشي في الصالة في فخر أقترب من مائدة السفرة متفحصا لأجد مصحفا موضوع علي المائدة أمسكه في إجلال لأفتحه وأنظر بداخله قبل ان أغلقه مرة اخري وأضعه في مكانه ألاحظ بجواره وجود كتاب اخر في نفس حجم المصحف وتجليده يشبه تجليد المصحف لحد كبير ثم اتجه لأجلس علي كنبة الانتريه ملتقطا الريموت أفتح التلفزيون وأقلب القنوات حتي أستقر علي فيلم اجنبي أشاهده دقائق ويبدأ احد الفواصل الاعلانية فأقوم متجها نحو ثلاجة موجودة في الصالة لأفتحها وأخرج منها بعض المأكولات ودورقا كبيرا ممتلئ بالعصير التهم وأرتشف

حتي أقضي علي أي فراغ كأنت تحمله معدتي وأودع الباقي اسفا في الثلاجة في مكانه ينتهي الفيلم فأغلق جهاز التلفيزيون وأقترب من جهاز الكومبيوتر الموجود بالصالة افتحه قائلا

– كومبيوتر وياسلام بقي لو فيه نت... كمان لاسلكي.... قشطة قوي اكلم اروي بقي بدل ماتزعل وتعملها حكاية

أفتح الجهاز لأسمع الصوت الموسيقي المميز لنظام النوافذ الذي يعلن بدأ عمل الجهاز لأفتح متصفح الانترنت وادخل لموقع الفيسبوك وافتح نافذة الشات وأكتب لأروي وفي انتظار ردها علي اشعر بسائل ما يحاول التسرب خارجا من جسدي يدفعني لأن اتلوي قليلا واضعا رجل علي رجل محاولا تأخيره بعض الشيء ولكن مثانتي الخجولة تعلن العصيان وترفض ان تنصاع لأوامر مباشرة من مخي فأضطر ان اقوم متجها للحمام افرغ مثانتي في سرعة واتجه نحو الحوض لأغسل يدي أفتح حنفية الحمام فيخرج منها صوت هواء شديد قبل ان يندفع الماء بشدة يتصاعد البخار منه فيلسعني في يدي فأصرخ متألما واسب هذا الماء ببعض الالفاظ التي لا يتسع المجال لذكرها هنا ولكني سأدعها لخيالك اللذي اعرف انه سيوصلك لكل حرف نطقت به قبل ان أمد يدي في سرعة لبكرة مناديل تواليت وجدتها بجوار الحوض (من الواضح ان سكان الشقة دي ولاد ناس) أسحب منها في عدم انتظام لأغطي يدي بعين نصف مغمضة من الالم لكنها (اللي هي عيني) لاتملك سوي ان تلاحظ اني تركت جزءا طويلا من بكرة المناديل ملقي علي الارض أغلق الحنفية

ساخط لأسمع صوتا مميزا لوصول رسالة عبر الشات فأغادر الحمام مسرعا ناسيا او متناسيا ما اشعر به لأتجه نحو جهاز الكومبيوتر لأكمل حديثي مع اروي في انهماك اشرح لها في كلمات موجزة كعادة كل الرجال ملخصا وافيا (من وجهة نظري) لما مررت به من احداث منذ تركتها واتجاهل اسئلتها التي تعني اعادة بعض الاجزاء مرة اخري من القصة ولكن بزاوية اخري كأنها تستجوبني املا في ان انهار واعترف بماذا لا ادري ولكن لابد ان اعترف .....

قبل ان أنتبه علي صوت قادم من الحمام فأجري بسرعة نحو الحمام فلا أجد احدا ولكني افاجأ بعدم وجود بكرة التواليت فأبحث حولي قبل ان اقول محدثا نفسي شاعرا بـ(تن ترا را رن تن تن)

– ايوه اشتغلوني بقي اكيد حد جه مالسطح نزل عمل اللعبة دي وطلع تاني أنا مش هاكل من الكلام ده تاني

أتجه نحو جهاز الكومبيوتر مغلقا اياه كي اتمكن من الانتباه جيدا لما يدور حولي حتي لا اقع ضحية خدعة جديدة. تنير في ذهني خاطرة (مصحوبة بفرقعة الابهام والوسطي وخروج بالونة حوار بجوار رأسي مرسوم بداخلها مصباح كهربائي) علي اثرها أذهب لأغلق باب البلكونة ثم أتمشي في ارجاء الغرفة في حذر وأنا أنظر حولي متفقدا

أدخل حجرة النوم وأفتح نورها فأجد عملتين ذهبيتين علي مخدة السرير فأبتسم في جذل فاهما الاسقاط قائلا بطريقة الموسيقي التصويرية للأفلام

– واك واك واااك الحتة دي شكلها من ناحية جلال علشان دي ماتطلعش غير من حد قاري في الحجات دي كويس

اغلق نور الحجرة واتجه نحو الصالة لاجلس علي كنبة الانتريه قبل ان اشعر بشئ يمر من خلفي في سرعة فالتفت نحوه ولا أجد شيئا (بطبيعة الحال كأي شبح يحترم نفسه) أعود لأنظر امامي لأكتشف وجود الرجل (الذي قابلنا حاملا طفله ونحن نصعد درجات السلم داخلين البيت أنا وعادل) جالسا امامي علي الانتريه في هدوء بينما وضع طفله بين فخذيه اتراجع في فزع قبل ان اقول

– الله يحرقك خضتني أنت دخلت هنا ازاي؟

لا يرد علي الرجل فأقوم مقتربا منه وبينما يكون علي بعد خطوات ينتبه لي الرضيع قبل ان تتحول ملامحة لشكل مخيف جدا عيونه سوداء وفتحة فمه كبيرة جدا وبها انياب حادة طويلة وهو ينظر له في غضب مصدرا صوتا مفزعا

ارتمي علي الارض في فزع زاحفا للخلف وأنا اتلفت حولي باحثا عمن ينقذني ولا أجد فأنظر مرة اخري بأتجاه الرجل والرضيع لاجدهما تمتلئ صورتيهما بشرائح كما لو كأنا مصورين بكاميرا فيديو قديمة قبل ان يتحول لونيهما للأبيض والاسود قبل ان ينطفئا من امامي بغتة فأنظر

حولي في توتر قائلا

– ايه بقي الهبل ده بقي . هو أنا هيست ولا ايه؟؟؟

أنظر نحو احد المرايا القابعة كبوابة لعالم اخر علي احد جدران الصالة لأجد حبل مشنقة يتدلي من السقف التفت للمكان الذي اتوقع وجوده في الحقيقة لأجده غير موجود في الصالة افكر هل هي رسالة ارسلت لي ولكني لا اجد بدا من ان اتجاهل الحبل

وأتجه نحو كنبة الانتريه حيث كان يجلس الرجل فأبحث عنه او عن أي اثر لوجوده فأمد يدي أتحسس الكنبة دون ان أجد شيئا فأهز رأسي كناية عن عدم الفهم وأقوم لأجلس علي كنبة الانتريه وأنا أحك راسه في غباء مفكرا. ثوان ويبدأ العرق في الاحتشاد علي جبهتي فأحرك يديي مهويا علي وجهي قائلا

– ايه الحر ده الدنيا ولعت فجأة كده ليه؟

ألتقط ريموت التكييف فأجد في شاشته ان درجة الحرارة خمسين أقلل درجة الحرارة حتي ثمانية وعشرون ولكني ألاحظ ان الحرارة ترجع من تلقاء نفسها وتستقر عي خمسين مرة اخري أظل في صراع مع الريموت أحاول ان أخفض درجة حرارة الغرفة وقد بدأت ألهث بسبب الحرارة واخرج لساني ككلب بلدي يسكن في منطقة صحراوية ولكن الحرارة تظل تعود الي خمسين فأقوم ثائرا

– ايه هو في ايه؟؟ اللي بيحصل ده بيحصل ليه؟

ألقي ريموت التكييف بقوة نحو الحائط في ثورة فيتحطم ويتناثر الي آلاف الاجـزاء علي الارض فتعود درجـة الحـرارة الي طبيعتها قبل ان تتجمع اجزاءه مرة اخري من تلقاء نفسها

أمشي في الصالة متوترا لألاحظ ان عيون الكلاب الموجودين في لوحة الكلاب التي تلعب البوكر تتابعني دون ان أدري ولكني اشعر بنظارتهم تثقب مؤخرة رأسي كمثقاب اسنان فألتفت نحوهم في حده لأجدهم لا ينظرون نحوي ابتعد عنهم بنظري لأشعر بهم يعودون لمراقبتي يبدو اني اصبت بحالة متقدمة من البارانويا ام ماذا لا ادري؟ .....

فجأة تبدا الطباعة الموصولة بجهاز الكومبيوتر الموجود في الصالة في العمل من نفسها بسرعة جنونية ملقية عددا كبيرا من الاوراق علي الارض أقترب وأنا خائف من احد الاوراق لألتقطها وأنظر فيها لأجد عددا من الرسوم الهندسية العجيبة وبعض الطلاسم غير المفهومة فأرمي الورقة من يدي وأتجه نحو الطباعة لأطفئها ولكنها تستمر في العمل فأشدها من القابس (الكوبس) بعنف وألقيها علي الارض لتتحطم وتتوقف عن العمل

فجأة ينفتح الراديو الموجود في الصالة بصوت صاخب فيختل توازني ويصطدم رأسي بحرف شوفونيرة فينجرح ويبدأ في النزيف أضع يدي في ألم علي الجرح قبل ان أنثر قليلا من الدم علي الارضية التي أجد انها

تمتص الدم في شغف مصدرة صوتا غريبا بينما أتجه لأغلق الراديو ولكني اتسمر في مكاني في خوف والراديو يقلب محطاته أغلق الراديو ولكنه يظل يعمل أسحب الراديو وسلكه من (كوبس) الكهرباء في عنف ولكني أفاجأ ان الراديو مازال يشتغل بينما يستقر الراديو علي محطة لا أسمع منها سوي فحيح انفاس شخص ألتفت حولي في رعب قبل ان ألقي الراديو علي الارض فيصمت. في هذة اللحظة يسود المكان صمت مطبق بينما ارتمي علي الارض ألهث بشده محاولا استيعاب ما يحدث لي قبل ان اقول محدثا نفسي بصوت عالي

– أنا هادخل انام علشان الدنيا كده مش متظبطة والصبح له عنين

أتجه نحو حجرة النوم لأدخلها وأغلق الباب خلفي وأتجه نحو السرير أرتمي عليه وأغطي نفسي محاولا ان أغرق في النوم بعد قليل اجدني تحت الغطاء أفرك يداي في بعضهما وأنفخ فيهما طلبا للدفء دون جدوي فأرفع الغطاء عن جسمي وأنزل علي ارض الغرفة محاولا استكشاف سبب هذا البرد القارص ولكني أتسمر في مكاني في دهشة بعد ان أخطو خطوتين بقدمي العارية علي الارضية لأكتشف ان الارضية مغطاه بطبقة كثيفة من ندف الثلج الهش الذي تغوص فيه قدمي كسطح فريزر في ثلاجة لم يصلها اختراع (النوفروست) أخطو في حذر نحو باب الغرفة لأحاول فتحه ولكنه لا ينفتح أحاول فتح الباب اكثر من مرة في جزع دون جدوي أجري نحو شباك الغرفة وأفتحه وأصرخ مناديا

– الحقوني يا عالم ياللي تحت حد يلحقني

ألاحظ ان المارة يمرون من امام العمارة دون ان يلتفتوا لي كما لو كانوا لا يحسون بي ولا يسمعون صوتي او كأن صوتي يتلاشي قبل ان يصلهم. أعود للحجرة وأنا أتلفت حولي في ارتباك قبل ان التقط فازة سيراميكية رخيصة الثمن كثيرة الالوان من الفازات الموجودة في الغرفة لأجري بها نحو الشباك وألقيها في الشارع محاولا ان ألفت انتباه الناس لي ولصراخي أظل أتابع الفازة وهي تهوي نحو الشارع ولكني أفاجأ بها تتلاشي من تلقاء نفسها قبل ان تمس ارضية الشارع. أعود للحجرة في قنوط لأكتشف وجود الفازة في مكانها سليمة لم تمس فأتراجع للوراء خطوتين في فزع قبل ان أعود للشباك وأنا أكرر محاولاتي اليائسة في النداء علي المارة.

– الحقوني يا بشر .... يا عالم حد يرد عليا

أنتبه لأفريز يمر تحت الشباك بعرض عشرون سنتيمترا فأرفع رجلي علي حافة النافذة وأنزل علي هذا الافريز لأمشي عليه بحذر مستندا علي واجهة المبني الخارجية محاولا ان أصل للشقة المجاورة لأهرب من هذا الجحيم تتابع خطواتي الحذرة علي الافريز وأنا أعد

– واحد اتنين تلاته اربعة خمسة ستة سبعة تمانية تسعة عشرة

أرفع وجهي الملتصق بالحائط لأنظر امامي لأري مدي تقدمي ولكني

أفاجأ ان الحائط اصبح يمتد الي مالا نهاية يصيبني الارتباك وأقرر العودة في حذر اكثر وأنا أعد مرة اخري

– واحد اتنين تلاته اربعة خمسة

تنزلق قدمي من علي الافريز وأكاد أسقط ولكني أتمالك نفسي في صعوبة وأحاول الرجوع ببطء شديد حتي أصل للشباك فأدخل منه للغرفة مرة اخري وأنا ألتقط انفاسي المتلاحقة في صعوبة اتمالك شتات نفسي لأقترب من باب الغرفة محاولا ان أفتحها دون جدوي بينما يسيطر علي الانفعال والبرد وأنا أرتجف بينما بدأت بلورات من الثلج في التكاثف علي وجهي وحواجبي ورموشي وانفي كانت في الاصل قطرات من عرق لم تستطع ان تجف او تتبخر بينما استحال وجهي للون الباهت أواصل الطرق علي باب الغرفة في غضب هادر صارخا

– افتح بقي.... هو مش عايز يفتح ليه ده؟؟

فجأة ينفتح باب الغرفة في عنف ليرتطم بوجي ويلقيني علي الارض علي ظهري أحدق قليلا في باب الغرفة لثوان اتحداه او اتوقع منه أي فعلة دنيئة فيظل منفتحا يتحداني في صمت قبل ان أقوم جاريا لأندفع عبر باب الغرفة لأخرج الي الصالة.

****

أخرج من باب الغرفة المفتوح في اندفاع لأقف في الصالة حائرا قبل ان أتجه للمطبخ وأدخله لأتجه نحو البوتاجاز أمسك بيدي ولاعة مطبخ كبيرة أشعل بها احد عيون البوتاجاز وأقف قريبا منها اصطلي وأمد يدي فوقها تلمسا للدفء قبل ان ألاحظ تكون بقعا من نار علي ملابسي تتسع فأقفز في رعب وهيستيريا محاولا ان أطفئ هذة البقع وكلما اطفأ واحدة ظهر غيرها مكانها وبينما أنا امارس هوايتي في الحركات الهيستيرية أرتطم بالدولاب الخشبي الموجود بالمطبخ فتقع الولاعة متدحرجة خارج المطبخ بينما أحاول الهروب من المطبخ فتنفتح ابواب الدولاب الخشبي من تلقاء نفسها لأرتطم بها في طريق خروجي بينما تتدحرج بعض محتويات الدولاب الخشبي منها بعض الحلل وبرطمانات بلاستيكية فارغة وعلبة (ثنر) تنظيف ملابس خارجة هي الاخري خارج المطبخ قبل ان أتمكن من الخروج من المطبخ نحو الصالة متجها نحو باب الشقة محاولا فتحه دون جدوي قبل ان أبدأ في وصلة اخري من الطرق بشدة وجنون علي الباب (لا ادري لماذا اتذكر نكتة الحقيني يا ولية الصفيحة هاتموتني وأنا استرجع هذة الاحداث) محاولا ان ألفت انتباه اي شخص لينقذني وأنا أقول

– الحقوني في حجات غريبة بتحصل هنا .... أنا هاموت ... حد يلحقني ...

ارتباطا بحروف اخر جملة أبدأ في البكاء قبل ان أعاود الطرق مرة اخري

من خلال دموعي بينما في نفس التوقيت خارج الشقة يمر البواب حاملا شنطة سفر كبيرة نازلا بصحبة امراة تدفع عربة طفل صغير خارجة من الشقة المقابلة دون ان يبدو عليهم انهم يسمعون صوت اي طرقات علي الباب نعود للداخل ومازلت أطرق الباب في عنف دون جدوي قبل ان أنهار علي الارض وأنا مازالت أبكي دون ان يرد علي احد تحين مني التفاتة نحو احدي المرايا في الصالة لأجد نفسي أتدلي من حبل مشنقة مثبت في السقف وموجود في المراية فقط وغير موجود في الصالة أتجاهل ما أراه وان كان يقيني يزداد كل ثانية ان هذا ما يريده مني المنزل وان خلاصي من هذة الشقة في موتي او بالاحري انتحاري.

****

اتركوني في معاناتي وأنتقلوا للمقهي حيث مازال الرباعي عادل جلال وخالد ومراد يجلسون الي احد موائد المقهي نفس جلستهم يتحدثون كنوع من انواع تمضية وقتل الوقت يسألهم عادل

– بس موضوع شمس المعارف الكبري ده بجد ولا اشتغالة هو راخر؟

يجيبه جلال ساخرا

– لا شمس المعارف ولا حتي وزارة المعارف

لا يقتنع عادل فيستوثق سائلا

– لا بجد والله..... الموضوع ده مش حقيقي ؟

يجيبه خالد واضعا يده علي الاكس

– يا عم حقيقي مين ؟ احنا نخاف نبص في الكتاب اصلا احنا كنا بس بنشتغل صاحبك

– تصدقوا أنا في الاول خفت وابتديت اقلق بس لما طلع مراد اتطمنت

يتفاخر مراد بأنجازاته فاتحا صدره كطفل يسمع الحروف الابجدية علي ضيوف ابيه

– يا عمونا أنا ضفت شوية مؤثرات جامدة برضه

– مؤثرات ايه؟؟؟

– امال التابلوه اللي وقع والشباك اللي انفتح ولا ايدي لما لعبت بيها في قفاه شغل يابني مش اي كلام .

****

نعود الي و مازالت في مكاني يشتغل التليفزيون فجأة لأري فيه (نفسي في الثانية عشر من عمري نائما علي سريري في استغراق. أتململ في مكاني قليلا قبل ان أنتبه وأعتدل منصتا دون ان أسمع شيئا أحاول العودة للنوم وطرد مخاوفي غير المبررة ولكني أعجز عن مواصلة النوم أقوم من مكاني وأفتح باب الغرفة وأمشي في صالة البيت مقتربا من

حجرة والدي ووالدتي أطرق الباب دون ان يجيبني احد اواصل الطرق قبل ان أقرر الدخول من باب الحجرة مقتربا من امي في هدوء مناديا بصوت خافت محاولا الا أوقظ ابي لا تجيبني امي فأقترب وأهزها محاولا ايقاظها فلا تستجيب فأحاول ايقاظ ابي فلا يستجيب هو الاخر أقف بجوارهم حائرا عاجزا عن اتخاذ اي قرار) أتابع كل هذا يحدث امامي في شاشة التليفزيون بينما يتصاعد تأثري بالموقف لدرجة اني أمد يدي في تأثر واضح نحو الشاشة لألمسها فتنطفئ فجأة فأتلفت حولي حائرا لا أدري ماذا يحدث

يقع نظري في عفوية علي لوحة الكلاب التي تلعب البوكر لأري فيها ان الكلاب تركت اللعب وتجمعت في مقدمة اللوحة تتفرج علي وهم يضحكون ويشيرون نحوي في سخرية ألتفت نحو لوحة الموناليزا لأجدها تغيرت في كل شيء ارتدت ملابس مغرية ملونة وتحول شعرها للون الاصفر وقد ارسلته بينما تقف مستندة علي احد الحوائط تنظر نحوي في اغراء قبل ان تغمز لي بدلال أتراجع في خوف وأنا أنقل نظري بين اللوحات وفجأة تعود كل لوحة لطبيعتها

انظر حولي قليلا في حيرة قبل ان أقوم محاولا الاقتراب من احدي اللوحات متفحصا لأتأكد مما أراه وفجأة يظهر لي باب خشبي لونه ابيض في وسط فراغ الصالة قائم بذاته غير متصل بشيء أتراجع للوهلة الاولي تحت تأثير المفاجأة في خوف قبل ان أقوم بالدوران حول الباب دورة كاملة وأنا أنظر له في تعجب فأجده لا يقود لشيء قبل ان أعود لمكاني

الاول فأقرر ان أقترب من الباب وأفتحه لأجد بالداخل اضائة بيضاء مبهرة أقف مترددا امام الباب قبل ان أحسم امري وامرق عبره داخلا الي حجرة ذات حوائط مغطاه بقيشاني ابيض وذات اضائة مبهرة بينما يحتل احد حوائطها عددا كبيرا من الابواب المعدنية الصغيرة التي تحتوي بداخلها علي ثلاجة لحفظ الجثث بينما أجد في منتصف الحجرة ترولي معدني عليه صينية مليئة بادوات تشريح معدنية أدخل الحجرة خائفا مترددا متجها تحو حائط الثلاجات الموجود في الجهة المقابلة للباب لأتوقف قليلا في منتصف الحجرة وأنا اجيل النظر حولي في حب استطلاع لطالما جر علي متاعب جمة بينما تعلو ملامحي علامات عدم الفهم ينفتح فجأة باب ثلاجتين ويخرج ببطء درجان كبيران يحتويان علي جثتين يشدان انتباهي فأقبع في مكاني خائفا قبل ان يتغلب علي فضولي فأتجه للدرجين لأجد جثتين مغطاتين أكشف غطاء احدهما فأكتشف انه ابي الراحل اتوقف قليلا أتأمل ملامح والدي الميت قبل ان أمد يدي لألمس ملامح وجهه ولكني أتوقف فجأة في رعب لأن الجثة فتحت عينيها ونظرت نحوي في لوم ممزوج بالشفقة أتراجع في خوف بظهري لمنتصف الحجرة مرة اخري فأرتطم بالترولي وأسقط الادوات الموجودة عليه علي الارض في دوي هائل يدفعني لأحمي طبلتي اذني بيدي مانعا اياهما ان ينفجرا نتيجة هذا الدوي الهائل الذي اشعر به ينفذ الي نخاع عظمي قبل ان يتوقف بغتة. ألتفت لأجد جدتي واقفة في احد اركان الغرفة تنظر الي نظرات غريبة ثم تتقدم جدتي نحوي في صمت بينما أتراجع أنا في خوف ورعب مطلقين متيقنا انها ليست جدتي الحقيقية قبل ان

تتوقف وتحادثني بصوت منخفض قائلة

– كده يا معتز ... هي دي حياتك اللي أنت اخترتها؟... ليه يا بني بتعمل في نفسك كده؟

– انتي ايه اللي جابك هنا يا تيتا؟

– جابني يا بني حالك اللي مش عاجبني

– مش بايدي يا تيتا اللي أنا فيه ده

– مافيش حاجة اسمها مش بأيدك ..... مفيش حاجة بتحصل غصب عننا

أتلفت حولي في رعب وأنا اري ملامحها تتحول يمتد لسانها المشقوق كلسان الثعبان في حركة مرتعشة عصبية خارجا من فهما فأصرخ قائلا

– لا انتي مش حقيقية ... اللي بيحصل لي ده مش حقيقي

أتجه في سرعة نحو ترولي الادوات لأنزل تحته وأجلس منثنيا علي نفسي كالجنين وأنا أغمض عيني وأردد في خفوت وهيستيريا كطفل يحفظ في كُتاب يهتز جسمي للأمام والخلف

– الكلام ده مش حقيقي ... الكلام ده مش حقيقي ... أنا لازم اخرج من هنا ....أنا لازم اخرج من هنا

تبدأ ملامح الحجرة في التلاشي ببطء من حولي لتعود للصالة بينما مازالت مغلقا عيني. أفتح عيني في بطء لأكتشف تلاشي الحجرة وأدرك وجودي في الصالة واكتشف اني تحت السفرة الموجودة بالصالة. أمد يدي وأنا في مكاني محاولا الوصول للمصحف ألتقطه وأفتح صفحاته محاولا القراءة فيه لعله يخرجني من تلك الازمة ولكني أكتشف ان صفحات الكتاب بيضاء تماما فارغة من اي كتابة ألقي الكتاب في ثورة وأقوم لأكتشف اني امسكت بالخطأ الكتاب الاخر وان المصحف مازال في مكانه أتجه نحو المصحف محاولا امساكه فيرن جرس تليفوني أفزع من الجرس ولكني ألتقط التليفون من جيبي وأنظر بداخله لأجد اسم عادل في خانة المتصل أفتح الخط مع عادل سريعا ولكني أفاجأ بأن صوتا ما يشبه صوتي يرد علي عادل في حسم قائلا

– الو ايوه يا بني ... تيجوا فين خليكوا مرميين في مكانكوا لبكرة الصبح

تجمدت للحظات في مكاني أحدق في التليفون في دهشة قبل ان أصرخ قائلا

– عادل ... يا عادل .... الحقني يا بني .. حد يطلع ينقذني من اللي أنا فيه .... الو الو .... عادل .....

اواصل صراخي بينما يواصل عادل رده علي الصوت قائلا

– يابني الهزار بوخ كده .... الدنيا برد الله يهديك خلينا نطلع ... مش عايزين نفرج علينا حد

اصرخ محاولا ان اجعله يسمع كلماتي

– اطلع يا عادل ... الو أنت سامعني الو الو ... عادل الحقني يا عادل

بينما يجيبه الصوت في اصرار

– خليكوا في مكانكوا مفيش حاجة اسمها تطلعوا .... انتوا اللي ابتديتوا اشربوا بقي سلام

ينغلق الخط فأنظر للأرض في قنوط قبل ان تعلو ملامحي ثورة عارمة فألقي التليفون بقوة الي احد الحوائط فأحطمه

نعود للمقهي لنجد الشلة مازالوا في مكانهم يتحدثون يقول جلال موجها كلامه لعادل وهو يواصل دعك كفيه محاولا تلمس بعض الدفء

– الجو برد قوي ماتكلملنا صاحبك يا عم يسامحنا ويبيتنا في الشقة

يجيبه مراد

– لولا انها ندالة أنا كنت سيبتكوا ورحت بيت عند اي حد من اصحابي

بينما يأد له عادل احلامه في مهدها قائلا

– يا عم مش هايوافق صاحبي وأنا عارفه علي ايه

يصر خالد ان يجرب حظه للأخر

– طيب هات رقمه وأنا اكلمه مش هانخسر حاجة

– زيرو مية خمسة وسبعين تلاتة وستين واحد ستة وستين

يضرب خالد ازرار تليفونه في سرعة ويضع السماعة علي اذنه متسمعا قبل ان يلتفت نحوهم قائلا في خيبة امل

– التليفون مغلق يادي الفقر

يتسأل جلال وقد بلغ البرد به مبلغه

– طيب والعمل ؟؟؟

يجيبه خالد

– خلينا مرمين هنا والصبح يحلها الحلال

يشير جلال للجارسون طالبا

– واحد سحلب هنا يابني

مكملا بصوت منخفض

– يمكن يعمل اي حاجة في التلج اللي احنا فيه ده

****

في هذة الاثناء اقف في وسط الصالة شاعرا بالعجز لا ادري كيف اتصرف وكأي رجل طبيعي كان تصرفي المثالي في هذة الحال ان أتجه نحو باب الثلاجة افتحها واطيل النظر بداخلها ولكني أفاجأ بأن باب التلاجة يفتح علي حقل كبير يقف فيه سامح صديقي علي مسافة بعيدة ينظر لي في غضب قائلا

– ايه يا معتز اللي بيحصل ده؟ أنت لازم تشوف لك حل

– سامح الحقني يا سامح في حاجات غريبة بتحصل في الشقة دي

– أنت اللي وقعت نفسك في المشكلة دي

اراني واقفا اكلم الثلاجة العادية برفوفها شبه الفارغة الا من طعام قليل أصرخ في توسل مناشدا سامح

– يعني ايه؟

– زي ما وقعت نفسك في المشكلة اكيد هاتعرف تخرج نفسك منها

يعلو ملامحي غضبا شديدا وأنا احاول ان افهم مغزي كلام سامح قبل ان اجيبه

– كده يا سامح هي دي وقفتك جنبي.... طيب يلا غور من هنا

تثور ثائرتي وأبدأ في امساك الاشياء الموجودة في الثلاجة لألقيها علي الارض قائلا

– بدل ما تقف جنبي عمال تقطم فيا؟!.. غور في داهية

أغلق باب الثلاجة في ثورة وأمشي في الصالة علي غير هدي تصادفني مرآة في طريقي أقف امامها محدثا نفسي قائلا

– أنت لازم تهدي اعصابك علشان تعرف تخرج من الليلة دي

أفاجأ بشخص يظهر في المرآة مقتربا مني في سرعة ممسكا في يده سكينا طويلا يلمع نتيجة اضائة المكان ألتفت له في فزع لأكتشف عدم وجود احد يهاجمني فأنظر للمرآة مرة اخري فلا أجد احد. تتراخي ركبتي وأجثو علي الارض في انهيار دافنا وجهي في راحتي كفي قبل ان يتناهي الي سمعي صوتا عجيبا ألتفت لمصدره فأكتشف ظهور شقوق في احد الحوائط بينما تبدأ دماء في التدفق من تلك الشقوق قبل ان أشعر باهتزاز في ارضية الغرفة أتراجع في فزع بينما تتساقط بعض الاجزاء من سقف الشقة وأنا احاول حماية رأسي منها أعدو متجها نحو الحمام وأنا أصرخ

– اللي بيحصل ده مش حقيقي

لأدخل من باب الحمام مكملا صراخي

– أنا لازم اشوف حل .

أقترب من حوض المطبخ لأضع رأسي تحت الحنفية وأفتحها لأفاجأ بعد قليل ان دماء تنزل من الحنفية أرفع رأسي من تحت الحنفية لأنظر في مرآة الحمام لأري الدم ينزل من علي رأسي في المراة

انظر للحوض لأجه ممتلئا بالدماء افرك عيني في توتر لأعاود النظر لتعود كل الامور الي طبيعتها

لأصرخ وأنا أنظر حولي في غضب هادر متحدثا لسقف الشقة

– أنت عايز مني ايه؟ أنا معملتش حاجة .. أنا جيت هنا غصب عني ... أنا عايز اخرج من هنا ... أنت بتعمل كده ليه؟؟

اخرج من الحمام لأعود ادراجي نحو الصالة وأتهاوي علي الارض في يأس وقنوط مغمي علي اظل علي هذة الحالة لفترة لا يعلمها الا الله ولكنها لا تمر علي الا كطرفة عين وانتباهتها كأن ما مر أَسقط تماما من حساباتي الزمكانية قبل ان أنتبه علي صوت فتح التليفزيون أعتدل لأنظر للتليفزيون لأجده يصدر (وشه) المعتاد قبل ان تظهر اروي في شاشة التليفزيون وجهها شاحب وعيونها سوداء لا يوجد بها أي بياض متسعة وشعرها منسدل علي وجهها كما لو كانت خارجة توا من تحت الماء تحملق اروي في وجهي في فضول فأقترب من شاشة التليفزيون أحرك رأسي لليمين واليسار فتتحرك رأس اروي معي أرفع ذراعي اليمني فترفع ذراعها هي الاخري كما لو كنت أنظر في مرآة تتابعني اروي لفترة قبل ان تمد كفها ليخرج خارج التلفيزيون يتبعه يدها بالكامل ثم راسها قبل ان ترفع رجلها لتعبر بها شاشة التليفزيون لتنتقل للصالة وسط فزعي ورعبي رعبا مطلقا تقف اروي امامي في وسط الصالة قبل ان تتحرك نحوي في ألية عجيبة وهي تمد يدها نحوي كأحد الموتي الاحياء كمن

يريد ان يخنقني اندفع جاريا نحو حجرة النوم لأدخلها وأغلق الباب خلفي

أدخل الغرفة مندفعا مغلقا الباب خلفي لألتقط انفاسي في رعب واضح بينما احتشد العرق علي جبيني لأسمع طرقا عنيفا علي الباب أتلفت حولي محاولا البحث عن مخرج من هذا المآزق او قل سلسلة المأزق التي اتعرض لها وأنا أستند بظهري علي الباب مانعا دخول اروي. يزداد عنف الضربات علي الباب قبل ان ينتهي الطرق فجأة استقر في مكاني خائفا لا أدري كيف أتصرف قبل ان أبصر سيدة في اواخر الثلاثينات من العمر ترتدي ملابس مصرية قديمة عبارة عن جلباب مزركش عاري الكتفين عليه ملاية لف وعلي رأسها ايشارب مزركش ويشمك يغطي جزءا من ملامح وجهها تتلفت حولها في رعب قبل ان أري رجل في نفس سن المرأة يرتدي بدلة قديمة الطراز وطربوش احمر زاهي اللون يقترب منها وينهال عليها بالضرب في عنف وحشي بينما تتراجع السيدة نحو الشباك هربا من ضرب الرجل لها ولكنه يواصل ضربها في شدة اواصل قبوعي في مكاني خائفا ان أتدخل قبل ان تقترب السيدة من الشباك بفعل ضربات الرجل لها فيدفعها الرجل في قسوة لتسقط من الشباك يظل الرجل يتابعها في هدوء وهي تسقط قبل ان يعتدل ويعدل ملابسه ويخرج منديلا يمسح به وجهه ثم ينصرف من الحجرة مارا بجسدي والباب ليختفي أقف حائرا لا أدري كيف أتصرف قبل ان أتجه نحو شباك الغرفة لأنظر فيه للشارع فلا أجد شيئا يقع نظري بطريقة عفوية علي

العمارة المقابلة لعمارتي لأكتشف شخصا يقف في شباك موازي للدور الذي توجد فيه الشقة أشير لهذا الرجل في هيستيريا حتي أشعر انه انتبه ولأجده يقلد حركاتي أدخل للحجرة لأجلب اباجورة أسلطها علي وجهي عله يقلدني فأكتشف شخصيته لأكتشف في الجهة المقابلة ان ما أراه هو عاشور من الجيم ألتفت نحو لداخل الغرفة لأكتشف ان الاباجورة مضيئة بينما سلكها مرمي علي الارض وغير متصل بالكهرباء أنظر مرة اخري للاباجورة في فزع وكأنها متلبسة بكل شياطين الدنيا ادراكا مني لحقيقة انها تعمل دون كهرباء قبل ان ألقيها في عنف وغضب علي الارض لتتحطم قبل ان أتجه نحو الشباك لأقف علي حافته وبمجرد ان يتلاعب الهواء بشعري وملابسي أسمع صوت ضحكة شريرة تتردد في الانحاء قادمة من اللامكان أقف ناظرا للشارع من تحتي والمسافة التي بينه وبين الشارع في رعب قبل ان تنزلق رجلي من علي الشباك وبغريزة حب البقاء أتعلق بأفريز الشباك لأمسكه بقوة قبل ان أقرر العودة للداخل قائلا

– اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .... ايه هاموت كافر ولا ايه؟؟

أعود متجها نحو الصالة لأفتح باب الغرفة وأخرج متجها نحو الصالة فأسمع صوت درفة من درف النيش تنفتح في عنف فأستدير نحوها لأجد طبقا صغيرا من الصيني طائرا ليصطدم بجبهتي ملقيا بي علي الارض في عنف أحاول ان أعتدل من سقطتي قبل ان تطير طفاية سجائر نحوي في عنف فأتفاداها لتمر من فوقي لترتطم بأحد الجدران وتتحطم في دوي هائل أقوم في سرعة وأنا أحاول ان أتفادى اشياء كثيرة تطير

نحوي من كتب ومجلدات وفازات بعضها ينجح في اصابتي والبعض الاخر أنجح في تفاديه قبل ان أتواري خلف احد كنبات الانتريه وأنا أرتجف من فرط الخوف والاثارة أتلفت حولي (وقد لاحت لي فكرة قررت ان انفذها مهما كانت العواقب وخيمة وبدا لي وقتها انها انسب الافكار وحين اعود بذهني الي هذة النقطة اكتشف ان هذة اللحظة كانت محورية فارقة ادركتها في موعدها تماما وقد تغيرت علي يد الاهوال التي مررت بها) لأجد ولاعة المطبخ ملقاة علي مسافة قريبة مني أزحف في بطء لأقترب منها وأمسكها في يدي ثم أتفادي سي دي طائر كاد ان يصيبني لأتواري مرة اخري خلف احد كراسي الانتريه ثم أتلفت حولي مرة اخري في خوف لأجد عبوة ثنر تنظيف الملابس ملقاه هي الاخري علي الأرض ألتقطها في صعوبة وألتقط بعضا من – الأوراق الملقاة علي الأرض ثم أفتح العبوة وأسكب منها قليلا علي الأوراق وأحشر بعض الأوراق مرة اخري في فوهة العبوة صانعا منها قنبلة مولوتف مبسطة أشعل النار في طرفها وألقيها في وسط الصالة صارخا

– مش عايزين تسيبوا الشقة بالذوق .... اشربوا بقي

تصطدم العبوة بالأرض فتنكسر وتخرج منها النيران في كل اتجاه ليشب حريق هائل في ارجاء الشقة لأسمع في الخلفية صوت عجيب كما لو كان صوت احتضار بينما يبدأ الدخان في التكاثف أحاول الهرب من السنة اللهب مستغلا انشغال هذا الكيان الذي يسيطر علي الشقة ولكن الباب لا ينفتح تحاصرني النيران وأسعل من شدة الدخان حتي

أبدأ في السقوط علي ركبتي وأنا أصارع من اجل ان استنشق انفاسي .

في هذا التوقيت كان خالد وعادل وجلال ومراد في نفس جلستهم علي كراسي المقهي بينما يرتجف جلال بشدة نتيجة البرد قبل ان يقول

– الكلام ده مش نافع ابدا أنا هاطلع الشقة واللي يحصل يحصل

يجيبه عادل في قنوط

– أنا عارف معتز دماغه جزمة مش هايوافق اننا ندخل

– يوافق ولا مايوافقش بقي ماليش فيه أنا هاكسر الباب لو ماوافقش

يحاول خالد ان يثنيه عن فضيحة محتملة

– تكسر باب ايه مش ناقصة فضايح اقعد اقعد

يقوم جلال في عنف

– لا مش قاعد اللي عايز يجي معايا براحته واللي عايز يفضل هنا براحته برضه

يتجه جلال نحو باب المقهي مغادرا بينما يقوم مراد ليتبعه قائلا

– يا ابني رايح فين طيب استني جايين معاك

يتبعه المجموع صاغرين تصعد المجموعة سلالم العمارة في اصرار ليقفوا امام باب الشقة بينما يطرق جلال الباب في عنف دون ان يرد أحد

يستمر جلال في طرقه قبل ان يستدير لأصدقائه قائلا

– شكله نام ..... ماشي أنا هاتصرف

يغيب جلال قليلا ليعود ممسكا بسلك رفيع وورقة جورنال

– علي الله مايكونش شال المفتاح من مكانه

ينحني جلال ليدخل ورقة الجورنال مفرودة من تحت عقب الباب ثم يعتدل ليدس السلك الرفيع في مكان دخول المفتاح ويظل يدفعه ببطء بينما وقف الباقيين حابسي انفاسهم يتابعونه في صمت يدخل السلك في مكان المفتاح ويدفعه ببطء وفي داخل الشقة يسقط المفتاح علي ورقة الجورنال يسحب جلال ورقة الجورنال ليجد عليها المفتاح فيلتقطه في زهو قبل ان ينزع السلك ويدس مكانه المفتاح ويفتح الباب يدخل جلال يتبعه عادل وخالد ومراد الشقة ليجدوها سليمة لم يتغير فيها شيئ. بمجرد دخول المجموع للشقة ينتبه جلال ان معتز ملقي علي الارض مغمي عليه يجري جلال نحو معتز يهزه محاولا انعاشه دون جدوي قائلا

– معتز معتز ..... فوق يابني في ايه؟؟؟

يلتفت جلال صارخا في خالد

– اطلب الاسعاف بسرعة لايكون حصل له حاجة

يغيب خالد قليلا مسرعا ملبيا طلب جلال بينما يظل جلال محاولا افاقة معتز بينما نسمع صوت خالد من بعيد

– الو الاسعاف ... في عندنا واحد مغمي عليه ومش عارفين ليه ..... العنوان؟ اربعتاشر مجاورة اتناشر ....

تقف عربة الاسعاف امام مدخل العمارة وقد تم فتح بابها الخلفي بينما يضوي فنارها يخرج من باب العمارة اثنان من الممرضين يحملوني فاقد الوعي علي احد الاسرة يضعوني داخل السيارة ويركبون ويركب معهم جلال ويغلقون الباب تدوي سارينة الاسعاف قبل ان تتحرك السيارة مسرعة بطول الشارع بينما يركب بقية الاصدقاء سيارة مراد وينطلقون خلف سيارة الاسعاف

تصل سيارة الاسعاف لمدخل المستشفي ووراءها تماما سيارة مراد وينزل المسعفين وينزلوني وأنا مازالت فاقد الوعي يتجمع الاصدقاء حول سريري ويدفعوه لداخل المستشفي.

****

أنا الآن في حجرة مستشفي عادية أرقد فاقد الوعي علي سريري وموصولا بعدد من اجهزة قياس النبض ودرجة نشاط المخ وحولي اصدقائي اللدودين عادل وجلال ومراد وخالد بينما يتحدث مراد قائلا

– الدكتور قال هو هايفوق مابين لحظة والتانية

يرد خالد

– الحمد لله أنا ساعة لما شفته مرمي عالارض ركبي سابت

يتسأل عادل محاولا الفهم

– واللي حصل له ده حصل ليه؟ نفسي افهم

في هذة اللحظة بدأ ارتجاف جفوني وأنا في طريقي لأفيق بينما يرد مراد علي عادل مفسرا

– ما هو ده تدبير جلال الله يخرب بيت عقله دماغه سم

يسأله عادل

– عملت ايه يا مصيبة فهمني

– مفيش حطيت ليه شوية عقار هلوسة في العصير الموجود في التلاجة

يصيح خالد وقد ادرك حجم المأساة

– عقار هلوسة الله يخرب بيتك كده ممكن تودينا في داهية

– ولا داهية ولا حاجة يا عم عادل الراجل هايتهيأله انه بيشوف حاجات لغاية لما تأثيره يروح

يضرب عادل كفا بكف وهو يحاول تخيل ما مررت به قائلا

– الله اعلم بقي شاف ايه في الشقة

أعتدل في عنف نازعا اسلاك الاجهزة من علي جسدي صائحا بينما يدوي صوت انذار في الخلفية

– ياولاد الكلب بقي انتوا بتعملوا فيا كده

– مش أنت اللي عملت فيها اتوبيس رجالة وبيتنا في الشارع

اصيح متناسيا اني في مستشفي متوعدا وأنا اتمني ان اطول (زمارة رقبة جلال)

– ورحمة امي لا ارد ليكوا المقلب ده بعشرة

ينفتح باب الغرفة في عنف ليدخل طبيب يرتدي بالطو ابيض يتبعه ممرضة ليتكلم موجها كلامه للجميع

– اللي انتوا عملتوه ده غلط نتيجة التحليل ظهرت واثبتت انه واخد عقار هلوسة

اتلعثم مفكرا عن أي سبب اسوقه له دون جدوي يبدو ان احدهم ضغط زرار الـ (pause) في عقلي

– اصل ...

يستكمل الطبيب كلامه ثائرا

– أنا المفروض ابلغ البوليس بس النسبة اللي احنا لاقيناها قليلة

يجيبه جلال اللوذعي العالم ببواطن الامور

– يا دكتور ده أكل رغيف عيش محروق هو ده السبب في النسبة البسيطة دي

ينظر له الطبيب نظرة (شكلك فاهم يا نصة) ويجيبه

– لا فالح وعامل حسابك علي كل حاجة بص يا ابني أنا هاسيبكوا تمشوا بس اعرفوا ان أنا حذرتكوا واللي انتوا بتعملوه ده غلط

اقوم لأتمالك نفسي واهندم ملابسي وأخرج من باب المستشفي وأمشي دون ان أتوقف بينما يتجمع جلال وعادل وخالد ومراد علي باب المستشفي ينظرون نحوي في تعجب بينما ينادي علي عادل قائلا

– معتز .... زيزو ... ماتبقاش كده يا عم هزار وتقل شوية عادي يعني

أشير بيدي في لا مبالاة اشارة (نفض لنفسك) وأكمل سيري دون ان ألتفت .

****

اروي وعادل وبيبرس وريم يجلسون الي احد موائد كافيتيريا الكلية بينما أدخل من الباب تشير اروي لي منادية

– معتز

أقترب منها قبل ان انتبه لوجود عادل الذي اصبحت لا اطيقه (لا في سما ولا ارض)

– انتي قاعدة مع الواد ده ليه؟ يلا نمشي من هنا

تقوم اروي في دهشة تنفيذا لكلامي بينما يقول بيبرس

– ايه يا عم معتز؟ وحد الله احنا بينا عيش وملح

ابادر بيبرس بسؤال يحمل (زيتونة) الموضوع

– هو حكالك اللي حصل؟

يجيبني وهو يهز رأسه ان نعم بطريقة القرموطي الشهيرة

– حكالي وغلطته وهو هايعتذرلك

يزغد بيبرس عادل الذي ينتبه قائلا

– حقك عليا يا زيزو بقي حصل خير احنا كنا بنهرج معاك

اتسائل مستنكرا وأنا اتخيله يصرخ قائلا (أنا بحب اصحابي) في هيستيريا

– بتهرج معايا؟؟؟

– طيب هاقولك علي حاجة حلوة الكلية عندنا عاملة رحلة لأبو سلطان هاعزمك عليها علشان اصالحك

ينتهز بيبرس الفرصة كأي شاب براشوت ليرشق في الحوار مباشرة

– قصدك هاتعزمنا عليها مش هاتعزمه عليها لوحده

تستعطفني اروي وهي تعلم اني ضعيف امامها

– خلاص بقي يا معتز حصل خير

اجيبها في حزم قاطعا كل خطوط الرجعة

– لا مش طالع معاه

****

في احد الايام في الصباح الباكر في الوقت الذي تنجح فيه اولي اشعة الشمس في اختراق الافق امشي في احد شوارع القاهرة لأقترب من اوتوبيس كبير وقد وقف مجموعة من الشباب والبنات يركبون الاتوبيس يتجمع بيبرس واروي ومعتز وعادل وريم ليركبون الاتوبيس يبادرني عادل مستوثقا ان الخلافات بيننا قد زالت

– خلاص بقي يا عم معتز صافي يا لبن

اجيبه وعلي وجهي سمت القديسين

– ماخلاص أنت اديتني رشوة هاقولك ايه؟

يضحك الجميع وهم يركبون الاتوبيس وبعد ان تتمتلئ كراسيه ويكتظ بشباب وبنات في سن الجامعة يتحرك الاتوبيس متجها لأبو سلطان يقف عادل ليغني ويصفق له الجميع في فقرة اشبه بفقرات المواهب الشابة

– هشكتك بالهشاكة ما اتهشكتش ... مسكتك بالمساكة ليه مامسكتش ... وطلعت بتاع كلام وقدرت عالخصام وأنا مقدرتش ... والحاسة حاسة باسة والشيكة بولة ... الورد شاف خدودي مال عالفلة ... بتغير عليا ليه وأنا كان ذنبي ايه واعملك ايه يا سي زعبله ... هات الحزام وشده وحتي الحبل مده وقول لي بصراحة الرقص عيب ياجدو ... ايزي ايزي ياواد ايزي ايزي عمك في الهوا تلميذي اديه في الحب حصة بالعربي والانجليزي ... بيقولي عليكي اسطة علي رأي بتوع البوسطة بيلين لك الحديد وبيعمل نفسه سوتة ..... وأنا عايزة ميكانيكي يجي يصلح المتور ... حط ايده يا علي ايدي يا عمل اللي عمله وقام زعلان ... سكر يا لمون يا دوا العطشان وأنا عايزة ميكانيكي يجي يصلح المتور .... بحب الحمار جد مش بهزار... لما اقول له شي علي طول يمشي ... ولما اقوله هس علي طول بيحس ... وان جه في يوم وكسل اسقيه حجرين معسل

نظل في وصلات تشبه هذة الوصلة يتباري فيها الجميع لأداء اغاني

الرحلات الرديئة حتي يصل بنا الاتوبيس لوجهتنا فينزل الشباب الي الشاطئ ويرصون الموائد والشمسيات ويلعبون ويرقصون ومنهم من ينزل البحر ومنهم من يجلس علي الشاطئ ويخرج اكثر من واحد منهم كاميرا ويلتقطون صور لبعضهم البعض يخرج بيبرس كاميرا فوتوغرافية زينيت قديمة تلك التي ينفتح غالقها بصوت اشبه بمسدس يتم تلقيمه يلتقط بها صورا لنا ويطلب من غيره ان يلتقط الصور وينضم لنا يتصور معنا حتي ينقضي اليوم في سعادة (وهناء وشرين ودعاء) .. احم اقصد ان هذا اليوم التاريخي هو سطرين الفرح وسط بقية السطور المليئة بالعذاب في كتاب حياتي (يا عين) ولأن الأوقات الحلوة بتعدي في ثواني أجد نفسي في الاتوبيس في طريقه للعودة بينما يجلس عادل بجوار ريم ويدور بينهم حوار هامس وهم يبتسمون وأجلس نائما علي كتف اروي بينما يحاول بيبرس التودد الي احدي الفتيات ولكنها تصده وتقوم حتي نصل الي بيوتنا وننام قريري الأعين جميعا في ذلك الهدوء الذي يسبق العاصفة

****

بعد عودتنا المجيدة من الرحلة يدخل بيبرس محل تحميض افلام يحمل لافتة كبيرة تحمل عنوان كوداك اكسبريس حاملا شنطة كتف صغيرة ليكلم الموظف الذي بلغ من العمر ستين عاما علي الاقل قائلا

– لو سمحت كنت عايز احمض فيلم

– تحت امرك ..... فين الفيلم

يخرج بيبرس الكاميرا من الشنطة ويقدمها للموظف قائلا

– أنا خفت اطلعه من الكاميرا علشان مايتحرقش

يتأمل الرجل الكاميرا في اعجاب واضح كمن يمسك تحفة فنية قبل ان يجيبه

– اوك يا فندم ثواني

يأخذ الكاميرا من بيبرس ليغيب داخل معمل الصور قليلا ويعود بعد ثواني مسلما الكاميرا لبيبرس قائلا

– اتفضل حضرتك هاتحمض الفيلم بس ولا هاتطبعه كمان

– لا هاطبعه كمان

– مقاس الصور كام

– المقاس العادي

يدون الموظف بيانات في دفتر وصولات امامه قبل ان يسأله

– اسم حضرتك ايه؟

– بيبرس محمد علي

– حضرتك ممكن تستلم الصور بعد ساعتين

يسلم الموظف وصلا لبيبرس

– لا أنا هاجيلك بكرة

– اوك مفيش مشاكل ان شاء الله تيجي تلاقيهم جاهزين

– سلام

يستدير بيبرس ليخرج من المحل منصرفا.

****

اجلس في كازينو علي النيل أنا واروي الي احد الموائد نتناول عصير المانجو (بالميم مش بالباء هه؟) بينما يدور بيننا الحديث

– كان يوم جميل قوي ياريت نبقي نكرره

– مش عارف ليه أنا قلبي مش متطمن

– ايه بس اللي حصل؟

– مش عارف بس يمكن علشان أنا هانقل في شقة جديدة ولسة هابات فيها اول ليلة الليلادي

– شيل بقي المواضيع دي من دماغك اللي بيخاف من العفريت بيطلعله

– ابوس ايدك بلاش السيرة دي مش ناقصة

تتعالي ضحكات اروي قائلة

– يابني عيب اللي أنت بتقوله ده

اجيبها في عصبية وقد قفلتني السيرة

– انتي خلصتي العصير مش كده يلا نمشي

تبدو نظرات الدهشة والاستغراب علي ملامح اروي بينما أشير للجارسون الذي يأتي ليقدم لي حافظة جلدية وينصرف لأفتحها وأضع بها بعض النقود وأقوم تتبعني اروي وهي تشيعني بنظرات (ده مجنون ده ولا ايه؟) لنتجه نحو باب الخروج

اقول لها في حسم

– هاوصلك للمدينة وارجع انقل أنا في الشقة الجديدة وربنا يسترها

اوصلها واتجه نحو شقتي القديمة التي تركتها لأنزل حاجاتي القليلة لأضعها في شنطة سيارة ربع نقل واركب بجوار السائق بينما يجلس شبح علي ظهر السيارة مدليا قدميه في الخلف يهزهما في سعادة غامرة وهو يصفق بيديه في جزل قائلا

– هانعزل ..... هانعزل

تركن السيارة امام باب عمارة وأنزل منها وأبدأ في حمل الشنط من السيارة لأصعد بها بينما يقف الشبح امام باب العمارة يعاينها في اهتمام

– جميلة العمارة دي علي الله بس يكون فيها اسانسير

أحمل الثلاث شنط التي تحتوي علي كل ما املكه من متاع في ام الدنيا بصعوبة بالغة وأفتح باب الاسانسير وأدخل بينما يقف الشبح سابقا اياي بالداخل يبدأ الاسانسير في الصعود بينما يقترب الشبح من اذن معتز ليحدثه

– الف مبروك يابرنس عالشقة الجديدة ربنا يجعلها قدم السعد علينا

يتوقف الاسانسير فجأة ويتعطل فينتابني الذعر وأصرخ شاعرا بـ(احنا لسة بنقول يا هادي)

– ايه هو في ايه؟؟ البتاع ده وقف ليه ؟

يجيبني الشبح الذي لا اراه او حتي اشعر بوجوده

–ماتقلقش يا عم ... ايه الرعب ده؟... هو الواحد مايعرفش يهزر معاك ابدا؟

يبدأ الاسانسير مرة اخري في الصعود فأتنفس الصعداء

– الحمد لله ربنا يستر ومانموتش بسبب الهبل اللي بيحصل ده

يصل اسانسيري الي وجهتة لأعيد حمل شنطي واتجه الي باب الشقة لأفتحه وادخل للشقة العادية المفروشة بأثاث عزاب حاملا الشنط وقد بدا علي التعب لأضعها في منتصف الصالة لأرتمي من التعب علي انتريه متواضع موجود في الصالة محاولا التقاط انفاسي بينما يخرج الشبح من احد حوائط الصالة الداخلية ليقف امامي ويحدثني دون ان أشعر بوجوده

– لا شقة بصراحة زي الفل .... عشرة علي عشرة ..... عرفت تنقي بصحيح .... أنت لو سيبتها خلي في علمك أنا مش هاسيبها ..... هو مابيردش ليه آه أنا قافل الرؤية طيب خليه كده بدل ما يتسرع خلينا نعدي الليلة علي خير ... هو أنا ليه حاسس انه متغير من ساعة ما رجع من الشقة اياها مش عارف ؟؟؟

أقوم لأدخل باب حجرة النوم وأغلقها في وجه الشبح الذي لا اراه ولكنه لا يشعر بالاهانة من فعلتي ويخترق الباب بسهولة ويسير خلفي لندخل الي حجرة نوم عادية بها سرير متواضع ودولاب قديم اتمدد علي السرير محاولا النوم دون جدوي بينما يجلس علي طرف السرير الشبح يكلمني دون ان أشعر به

– يعني أنت حيرتني والله معاك اظهرلك تترعب وتموت في جلدك ما اظهرش برضه مرعوب ومش عارف تنام ايه القرف ده؟ ... أنا مارمنيش عليك الا الوحدة من بعد مراتي الله يرحمها ما ماتت من مية خمسة

وسبعين سنة وكان في مشاكل بيني وبين ابوها وهو راجل من الاخر يعني واصل عندنا وأنا متجنب الجن كلهم علشان المشاكل وماصدقت لقيتك علشان نبقي اصحاب بس أنت مش عارف واخد مني جنب ليه؟؟

اظل علي السرير اتقلب كقطعة لحم يتم شيها لا استطيع الاستقرار او النوم حتي اقوم لأتجه للحمام شاعرا بحاجة ماسة لتلبية نداء الطبيعة

****

في اليوم التالي يعود بيبرس الي محل التحميض وبمجرد دخوله من باب المحل يتجه نحو الموظف يمد يده الي جيبه مخرجا الوصل قائلا

– سلاموا عليكوا كان ليا فيلم بيتحمض هنا ياتري خلص؟؟

يلتقط العامل الوصل من يد بيبرس لينظر فيه قبل ان يميل للفاترينة امامه لينظر بداخلها قبل ان يلتقط مظروفا ابيض به بعض الصور القليلة قائلا

– حضرتك الفيلم اتحمض وطبعنا الصور الكويسة في صور مارضيناش نطبعها غير لما نعرف رأيك

– هما كتير الصور دي؟؟

– تقريبا نص الفيلم

– لا اطبعهم أنا عايز الصور كلها

– طيب حضرتك استني هنا عشر دقايق اطبع لك بقية الصور

يتجه بيبرس نحو احد كراسي الانتظار في المحل ليجلس عليه في تملل واضح في نفس هذا التوقيت كنت أنا واروي وعادل وريم نجلس الي احد موائد الكافيتيريا نتبادل الحديث يستفسر عادل عن نجم القعدة

– هو فين بيبرس ماجاش النهاردة ولا ايه؟؟

تجيبه ريم

– هو كان قال امبارح انه هايعدي علي الاستوديو يجيب صور ابو سلطان وهو جاي

تشرق ملامح اروي قائلة في جذل طفولي

– والله؟ .... أنا نفسي اشوف الصور دي جدا

مادمت الصور ستسعدها اذا لابد ان يكون لي دور اخرج تليفوني قائلا

– هو زمانه جاي هاكلمه اشوفه وصل لفين دلوقت

في هذة الاثناء مازال بيبرس في جلسته في المحل يخرج موظف المحل من حجرة الطباعة قائلا

– اتفضل يا استاذ الصور طلعت

– دي كل صور الفيلم؟؟؟

– ايوه كلها

يلتقط بيبرس الصور من العامل ويخرج من باب المحل ممسكا بمظروف الصور يفتحه في فضول ليتصفح الصور قبل ان يرن جرس تليفونه فيخرجه من جيبه لينظر في شاشته قبل ان يرد في جزع قائلا

– ايوه يا معتز أنت فين دلوقت؟؟؟ في حاجة غريبة في الصور .... مش هاعرف اشرحلك لما اجيلك هاتفهم .... خليك عندك أنا مسافة السكة وهاكون عندك

أغلق الخط مع بيبرس وأنا أنظر الي اصدقائي في ذهول قائلا

– الواد ده ماله؟؟؟ بيقول في حاجة غريبة في الصور

يستفسر مني عادل

– حاجة ايه؟؟؟؟

اجيبه ومازالت حالة الذهول مسيطرة علي فأنا لم اعهد بيبرس هكذا

– مش عارف قال لما يجي هايعرفنا

تستشعر ريم القلق فتسأل

– طيب قاللك هو هايجي امتي؟؟؟

– هو خلاص زمانه وصل هانلاقيه داخل علينا دلوقت

ألتفت نحو باب الكافيتيريا كمن يري الغيب لأبصر بيبرس داخلا نحونا في اهتمام ورعب فتتهلل اساريري قائلا

– اهه وصل اهه

يقترب بيبرس منا وهو يسلم الصور لي ولعادل وهو يقول في رعب

– تعرفوا تفسروا لي ايه اللي في الصور دي ؟؟

اتسلم منه أنا وعادل الصور وأمعن فيها النظر دون ان أكتشف ما يقصده بيبرس بينما تأخذ اروي وريم بعضا من الصور لينظرن فيها بأمعان بينما يرد عليه عادل قائلا

– مالها الصور دي مش فاهم أنت تقصد ايه؟؟؟

يقترب بيبرس من عادل شارحا له فنقترب منهم جميعا محاولين فهم ما يقصده بيبرس

– مين اللي في الصورة دي؟

ينظر الجميع للصورة فيبصروا شط البحر ولا يوجد احد في الصورة

– واحنا ايش عرفنا أنت اللي كنت ماسك الكاميرا بتاعتك بتصور بيها ماحدش خدها منك

يأخذ بيبرس الصور منا ليقلب فيها وهو يقول

– يا جماعة افهموني ... بلاش دي ايه تفسيرك للصورة دي؟

يقدم بيبرس للمجموعة صورة لينظروا فيها قبل ان أصيح قائلا

– واحد واقف وقفة عجيبة ماله يعني يا بيبرس

يبدو الزهق علي وجه عادل الذي يصيح فيه قائلا بطريقة

(اخلص مش نقصاك)

– بيبرس مش ناقصة الغاز فهمنا تقصد ايه؟؟

تستدرك اروي وكأنها ادركت مالم نستطع ادراكه جميعا

– استنوا يا جماعة كده ثواني الصورة دي فيها حاجة غلط

– ايوه يا اروي قوليلهم والنبي لحسن مش واخدين بالهم

تجيبه اروي في تذاكي واضح

– الواد عمر شكله وحش قوي بالدوجلاس

يوشك بيبرس علي طعن نفسه ليرتاح من عذابه معنا قائلا

– دوجلاس ايه يا بنت الناس افهموا بقي عمر في الصورة المفروض انه حاطط ايده علي كتف حد ولأني أنا اللي مصور الصورة ففاكر ان الحد ده هو معتز فين معتز بقي ؟؟؟؟ مش ظاهر في الصورة ليه؟؟

يصرخ عادل مدركا حجم المأساة

– يا نهار اسود؟؟؟؟

اصرخ شاعرا انه احد مقالب (المخفي) بيبرس

– ده اكيد فوتو شوب

يجيبني بيبرس بطريقة (الله يرحم جدك كان بيقول عالعيش الناشف شيبسي)

– فوتوشوب مين يا عم الحاج النيجاتيف اهه واتأكد من الصورة بنفسك وبعدين مش الصورة دي لوحدها كل الصور لا أنت ولا عادل ظاهرين فيها

تسأل ريم في قلق حقيقي كمن يجلس بجوار اشباح حقيقين

– طيب والحل ايه دلوقت ؟؟

– احنا نكلم جلال وخالد ومراد ونقابلهم ونشوف حصل ليهم كده ولا لأ وبعد كده ربك يحلها

نسارع بعقد اجتماع قمة طارئ في شقتي هذة المرة منعا لأي مقالب محتملة نجتمع لنجلس الي انتريه الشقة ويبدو الاهتمام والخوف جليا علي ملامحنا بينما يقف الشبح صديقي يستند بظهره الي جدار في الشقة متابعا حديثنا في جذل يصارحنا جلال قائلا

– الكلام اللي كان بيتقال في التعاويذ مش حقيقي ده من تأليفي

انهره في ضيق قائلا

– ماتحسسنيش انك متربي معاهم من وأنت صغير

ينظر لي جلال في غباء حقيقي واضح قائلا

– مش فاهم ؟؟

يتطوع بيبرس ليشرح له المعني الكائن ببطني

– معتز يقصد انك يمكن الكلام اللي أنت مألفه ده يكون حضر حاجة فعلا

يتعجب خالد متسائلا

–حاجة تخلينا مانظهرش في الصور مش شايفين انها واسعة شوية ؟

يقترح بيبرس حلا عبقريا

– خلاص يا جدعان التجربة خير برهان

يجيبه مراد بطريقة (هو كله كده بيقص الكلا ... الكلام يعني)

– لا والنبي؟؟ واظهر وبان عليك الامان

يجيبه بيبرس في عصبية تتناسب مع الموقف

– أنا مابهزرش دلوقت .... احنا نتصور ونطبع الصور نشوف هاتظهروا فيها ولا لأ

اجيبه في اقتضاب و اخشي ما اخشاه ان تظهر النتيجة كما توقعت

– تمام جدا اي حد معاه كاميرا نضيفة في موبايله يصورنا وأنا هاطبعها عندي عالكومبيوتر أنا عندي طباعة الوان

يخرج مراد من جيبه موبايل كفردة البلغة كله شاشة ولا يحتوي علي أي ازرارليصورنا به. يتجه الجميع ليقف في وضعية التصوير بينما يلتقط مراد صورة ثم يغلق التليفون ويخرج كارت الذاكرة ليسلمه لي فأخذه وأتجه نحو جهاز كومبيوتر في احد اركان الصالة لأحرك مؤشر فارته فتضيء الشاشة لأقوم بتوصيل الكارت بالجهاز وأفتحه ثم افتح الصورة لنكتشف وجود بيبرس بمفرده في الصورة نتصلب جميعا في فزع ونحن نحدق في شاشة الكومبيوتر دون ان ينطق اي منا.

****

كنوع من انواع محاولة اعادة ترتيب الاوراق التي لم اعد قادرا علي تنظيمها بعد كم الاحداث المتالية التي مرت بي اتجه الي احدي الكافيهات أنا و اروي اجلس وامامي كوبا من القهوة أرتشف منه في بطء وامام اروي كوبا من العصير بينما تبدو الحدة علي ملامح اروي وهي تقول

– وبعدين؟؟ والحل ايه يا معتز هاتعمل ايه فيي اللي أنت فيه؟؟

– ماتأفوريش بقي ... الموضوع مش كبير .. يعني ايه المشكلة يعني اني مابظهرش في الصور؟

– لو حبيت تجدد بطاقة ولاتطلع رخصة ولا باسبور هاتعمل ايه؟؟؟ وبعدين كلامي مش بس علي موضوع الصور أنت مش ملاحظ ان اللي أنت بتمر بيه في حياتك كلها اوفر

– طيب قوليلي اتصرف ازاي أنا وأنا مش هاتأخر

– من اكتر الناس اللي ممكن تلاقيها بتفهم في الامور دي هو دكتور احمد خالد توفيق

– وأنا اعرف طريقه ده منين أنا بقي ؟؟؟

– هو في كلية الطب او عن طريق المطبعة

– ماشي خليني وراكي للأخر اما نشوف هايقول لي ايه يلا خلصي العصير بتاعك خلينا نقوم

يبدو ان اروي ستعتاد مني علي قطع جلساتنا التي من المفترض ان تكون مختلفة تماما عما يحدث بيننا حاليا ولكن ما باليد حيلة

****

اتجه الي كلية طب جامعة طنطا بحثا عن مكتب دكتور احمد اراها الان بوضوح من الخارج وقد ظهر بوضوح لافتة توضح كنه المكان بينما يسير المارة في الشوارع بطريقتهم المعهودة كل في كونه الخاص لا يدري احد بما يعتمل في صدر الاخر يدخل الطلبة الكلية ويمارس الناس حياتهم العادية أقترب وجلا من الباب لأخرج من جيب محفظتي كارت ميناتيل لأظهره لفرد الامن علي الباب من داخل المحفظة فيسمح لي بالدخول ضمن الطلبة لأمشي في طرقات الكلية تائها دون ان أدري كيف أتصرف والي من الجأ حتي أقترب من احد العمال طاعني السن لأسأله

– لو سمحت هو فين مكتب دكتور احمد خالد توفيق

يشير لي العامل قائلا

– تالت مكتب عالشمال بس هو مش موجود دلوقت

– طيب أنا عايزه ضروري الاقيه فين؟؟؟

يسحبني العامل من يدي متجها نحو بوفيه يعمل به الرجل كان في الاصل بير احد سلالم الكلية وهو يسألني في فحيح من يدعو ان يجعل كلامه (خفيف عليهم)

– أنت عايزه علشان الامور اياها مش كده؟

– اه كنت عايزه علشان . . .

يقاطعني وكأني لو نطقت له بسري فسيحترق

– اشتاتا اشتوت ... ماليش دعوة أنا كل اللي اقدر اخدمك بيه انك ممكن تسأل عن مكتبه في المطبعة اللي هو بيتعامل معاها اكيد هايدلوك

– ماشي يا حاج شكرا

أنصرف مبتعدا بينما تشيعني نظرات خوف من العامل كمن رأي (اللهم احفظنا) متجسدا امامه.

****

ارفع عيني المتعبة من وعثاء المواصلات للمطبعة العربية الحديثة لأري لافته كبيرة توضح ماهية المكان استوعب المكان بعيني قبل ان اسحب نفسا عميقا يساعدني ان احسم امري ثم امرق من الباب الرئيسي لأدخل الي الاستقبال الفخم لأجد فتاة عشرينية انيقة تجلس الي احد المكاتب في البهو تتلقي مكالمة أقف منتظرا فراغها من التحدث في الهاتف تنهي السكيرتيرة المكالمة قائلة

– ماشي يا فندم هابلغه حالا سلام

تلتفت السكيرتيرة نحوي قائلة

– ايوه يا فندم تحت امرك

اجيبها مجتهدا الا يصعد التوتر الذي يعتمل بداخلي الي سطح ملامحي

– والله أنا كنت عايز عنوان مكتب دكتور احمد خالد توفيق محتاج اقابله ضروري

تباغتني السكرتيرة بسؤال من صميم عملها

– ممكن اعرف سبب المقابلة؟

يبدو علي التردد قبل ان أقول

– الجامعة عندنا عاملة سلسلة ندوات وكنا محتاجين انه يشرفنا في الجامعة

تميل السكرتيرة علي المكتب لتكتب في ورقة صغيرة العنوان بينما افكر (مين اللي قال ان الكدب مالوش رجلين؟) وتسلمه لي قائلة

– ماشي يا فندم العنوان اهه

– شكرا لحضرتك

أتسلم الورقة من السكيرتيرة وأغادر المطبعة مسرعا كأن ديانة العالم تطاردني وعلي وجهي نظرة جذل منتصرة.

****

حجرة مكتب واسعة تحتل مكتبة ضخمة مليئة بالمجلدات ثلاثة حوائط من الحجرة بينما يوجد مكتب امام الحائط الخالي وفي منتصف الحجرة توجد مائدة اجتماعات صغيرة اجلس اليها أنا ودكتور احمد خالد توفيق وقد احتلت ملامح الدكتور ابتسامة مشفقة انهي حكاية كل ما

مر بي من احداث ثم أسأله في خوف بطريقة (هو أنا هاعيش قد ايه يا دكتور) قائلا

– تفسيرك ايه بقي يا دكتور للي حكيته؟

يلتقط الدكتور نفسا عميقا قبل ان يجيبني في بساطة قائلا

– بص يا معتز الحالة بتاعتك بدون الدخول في مصطلحات علمية معقدة انت عندك ادراك نفسي فائق الحس

– وده يعني ايه يا دكتور ؟؟؟

يجيبني دكتور احمد وهو يحاول البحث داخل عقله المليئ بملايين المصطلحات المعقدة والتشبيهات اللاذعة عما يمكن ان يقرب الصورة الي عقلي المتواضع

– ده معناه انك ..... بص خلينا نقول ان اجهزة الاستقبال عندك اقوي من الناس العاديين علشان كده أنت بتستقبل حاجات محدش يحس بيها غيرك

– بس كده؟؟

– لا تداخل مع الادراك ده تأثير عقار الهلوسة وكمان التحضير اللي حصل في الشقة فحصل ليك ولأصحابك هلاوس سمعية وبصرية

– يعني أنا بيتهيألي موضوع الصور ده يا دكتور ؟؟

– اغلب الظن انه بجانب ده حصل حضور غيبي هو ده اللي بيخليك أنت واصحابك ماتظهروش في الصور

اسأله متوقعا الاسوء شاعرا بالقنوط

– وأنا هافضل كده علي طول؟؟

يقوم الدكتور ليجلب مرجعا كبيرا يبدوا عليه القدم ليضعه امامي علي المائدة بينما يتطاير الغبار منه لأسعل بشدة بينما يقول لي الدكتور

– خد المرجع ده فيه حالات مشابهة لحالتك اقرا وشوف اتصرفوا في حياتهم عموما ازاي علي بال ما اعمل لينا حاجة نشربها .... ها تحب تشرب ايه؟؟؟

اسأله مندهشا من بساطته

– حضرتك اللي هاتقوم تعمل بنفسك؟؟

ييجيبني مبتسما في بساطة.

– أنت ضيفي والنهاردة اجازة عم عبده فراش المكتب ها اعملك ايه معايا ؟

– قهوة زيادة بعد اذنك.

ينصرف الدكتور بينما أنهمك في قرائة وتصفح المجلد قبل ان يمر من

خلفي شبحا اسود بسرعة خارجا من باب المكتب ألتفت نحوه فلا أري شيئا أتجمد في مكاني قليلا مفكرا اذا لم تتواجد الاشباح هنا فأين لها ان تتجمع وتمرح لابد ان الدكتور كون منهم رابطة كرابطة الرجال ذوي البزات السوداء ولكنها مخصصة للجان والعفاريت قبل ان أقوم في حذر متفقدا الحجرة يتأخر علي الدكتور قليلا فأفتح باب المكتب في حذر خارجا منه متجها نحو الصالة خافتة النور وأنا أنادي في خفوت قائلا

– د: احمد .... د: احمد ..... هو راح فين بس؟؟؟

في هذة الاثناء يتناهي الي سمعي صوت دوران مفتاح في قفل الشقة وينفتح باب الشقة لأجد رجلا يدخل منه كمن اعتاد ان يغشي المكان في أي وقت قبل ان نتسمر أنا وهو في مكاننا كلا منا يحدق في الاخر في ذهول قبل ان يتكلم الرجل قائلا

– أنت مين؟؟ وايه اللي جابك هنا؟؟

– أنا كنت باقابل دكتور احمد وهو خرج يعمل لنا قهوة وأنا طلعت وراه علشان ...

– دكتور احمد مين يا استاذ أنا فراش المكتب ودكتور احمد مش موجود النهاردة مابيجيش اصلا النهاردة اجازته

– يا عم اجازة مين ده كان لسة معايا يا عم عبده صدقني

– عبده مين أنا اسمي فوزي وأنت شكلك حرامي وأنا هاصرخ والم

عليك الناس ... حرامي ..... حرامي ....

أتلفت حولي في رعب باحثا عن دكتور احمد لينقذني من هذة الورطة السخيفة قبل ان تبدأ حوائط الشقة في الدوران بسرعة مخيفة ثم نبدأ الحوائط من حولي في التغير تهدأ سرعة دوران الحوائط قليلا بعد ان اكتنفني دوار كثيف اسقطني ارضا لأكتشف وجودي ملقي علي الارض ممددا فاقد للوعي في شقة خالد وجلال بينما تحترق حولي الشقة من كل الجهات يبدو انني لم اغادر الشقة الكائنة في اربعتاشر مجاورة اتناشر قط. يبدو اني سأظل بها مدي الحياة محتجزا من قبل القوي الشريرة التي تسيطر علي الشقة احاول القيام في صعوبة مجاهدا السنة اللهب والدخان الكثيف دون جدوي ازحف بصعوبة نحو باب الشقة محاولا فتحه دون ان يستجيب يستولي علي القنوط واليأس فأرتكن بظهري للباب عاجزا عن التفكير وعن التصرف.

****

في نفس هذا التوقيت مازال عادل وخالد وجلال ومراد في نفس جلستهم علي المقهي في تلك الليلة الباردة وهم يرتجفون من البرد بينما يصرخ جلال فيهم قائلا

– قوموا يلا بينا احنا لازم ندخل الشقة دلوقت حتي لو كسرنا الباب

هل يستطيع هذا الجمع ان ينقذني ويخرجني من الشقة وينهي حالة الاحتجاز ام انهم وقعوا معي داخل هذة الحلقة المفرغة؟ هذا ما ستسفر عنه الايام المقبلة ولكن لهذا حكاية اخري لا ادري اذا كنت سأستطيع ان اقصها عليكم يوما ما ام ان شيئا اخر سيحدث ليقلب الموازين رأسا علي عقب .....

****

في حالة وجود أي شكاوي من جودة طباعة الكتاب يرجي التواصل
معنا عبر صفحتنا الرسمية بال Facebook

" زيرو وان للنشر و التوزيع Zero one "

او عبر التليفون : 01090288777 - 01285829109

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعّبر بالضرورة عن رأي الدار.

« زيرو وان » للنشر و التوزيع »

ZERO ONE PICTURES

Production solutions that make sense

زيرو وان بيكتشيرز للنشر و التوزيع – شارع أحمد فخري
مدينة نصر – القاهرة
تليفون: 01090288777 ـ 01285829109

E.mail: Zeroonepictures@outlook.com
Zeronepictures.com
website: www.zeronepictures.com

© جميعُ الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو الكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابى من الناشر؛ يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.